

المعري وشنهاور

من عهد بعيد بحث كتاب الشرق والغرب عن حياة الشاعر الحكيم أبي العلاء المعري وتأليفه وعرفوه بما يستحقه من الإجلال والتعظيم فلا حاجة لإيراد ترجمته هنا. إلا أننا لم نر أحداً أشار إلى المشاهدة الغريبة الموجودة بين فلسفة المعري ومذهب شنهاور الحكيم الجرمانى.

ولد آرثور شنهاور بمدينة دنتسغ بألمانيا سنة ١٧٨٨ فاعتنت أمه بتثقيفه وكانت من مشاهير قصصي ذلك القرن فأحنت تربيته.

وبعد أن تلقى العلوم بجامعة برلين وحصل على أعلا شهادتها أخذ يدون آراءه الفلسفية فألف عدة كتب أهمها (الإرادة في الطبيعة) و (أساس الحكمة) وأشهرها (حقائق تتعلق بالحكمة في الحياة) وفيه جمع شنهاور حكمه في أقوال موجزة وفصول قصار وصف فيها أتعاب الحياة وآلام البشر بكيفية تؤلم القارئ لانطباقها في الغالب على الواقع. ومذهب شنهاور متركز على قاعدة أن جميع مشاق الإنسان وأتعابه الدنيوية الأصل فينا يسببه إرادة البشر يعني شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة.

أوليس هذا رأي المعري عندما يقول: إنك إلى الدنيا مصغ. وحبها لبشر مطغ. لو أنك لشأها منع. أبغاك ما تأمده مبع؟ ولولا خوف الإطالة لأوردنا شيئاً كثيراً من تشابه أقوال الحكيمين.

وتوفي آرثور شنهاور بفركفورت عام ١٨٦٠.

ومن اطلع على طريقة هذا الفيلسوف الألماني يتيقن أن معتقده ويأسده من الحياة وتشاؤمه المستر يطابق كثيراً مذهب المعري خصوصاً في فحص أتعاب البشر وآلامهم وجسد

أخبرني بمنقى السيل هذه الشيخ أبو المظفر سعد بن أحمد بن حماد المعري رحمه الله عن
أبيه أبي العلاء ناظمها وكتب عبد الله بن عبد الرحمن العثاني.
قال الشيخ الإمام أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سنيان المعري رعين الحسين

المهزة

كم يحني الرجل ويحطئ، ويعلم أن حقه لا يبطئ،
نظمه (ممنع البسط)

إن الأنام ليخطئوا ... ن ويغفر الله الخطيئة
كم يبطئون عن الجسي ... ل وما مناياهم بطيئة

الألف

ابن آدم في سير وسرى. يهجر بحصره الكرى. وطال ما كذب وافترى.
ليصل إلى خير القرى. وإثما يحصل على الثرى. كأنه لا يسمع ولا يرى.

نظمه (سريع)

أما يفيق المرء من سكره ... مجتهداً في سيره والسرى
نمت عن الأخرى فتم تنبه ... وفي سوى الدين هجرت الكرى
كم قاتل راح إلى معشر ... أبطل فيما قاله وافترى
على القرا يحمل أثقاله ... وإثما يأمل نزر القرى
يفتر الحي ويثري وما ... يصير الأجر في الثرى
اسمع فهذا قاتل صادق ... أراك عقباك فهلا ترى

الباء

يفتقر إلى الله الأرباب. وبالكافر يحل التباب. وتنقطع بالهوت الأسباب. وفي الخالق تحار
الألياب.

نظمه (رجز)

دانت لرب الفلن الأرباب ... وبالكفور ينحق التباب
كم قطعت لمية أسباب ... واقترفت برغمها الأسباب

التاء

النفس تصرفت وانصرفت. والأمضاء تألفت ثم تلفت. والأقضية بحق هتفت. ما أعفيت
الخللة لكن عفت. كم شفيت المدنفه فما اشتفت.

نظمه (محجز و الرجز)

نفس الفتي في دهره ... تصرفت وانصرفت
تألفت عضاؤه ... واقترقت إذ تلفت
أقضية الله دعت ... فأسمعت إذ هتفت
ما أعفيت ديارهم ... من الرزايا بل عفت
كم شفيت مريضة ... من مرض فلما اشتفت

الثاء

من أعظم الحدث. سكنى الحدث.

نظمه (مقارب)

يدوم القديم إله السماء ... ويفنى بأقداره ما حدث
وما أَرغب المرء في عيشه ... ولكن قصاره سكنى الحدث

الجيم

العجب بجاهل مداج. يأسف لبن الأحداج. ويمضي الملك والليل داج. وما هو من

الحنف بناج.

نظمه (مخنع البسيط)

يا أيها العاقل المداجي ... لينه بالسفاه داجي

كأنه عنه إذا ما ... تحمل الحي في زجاج

كم أعمل الناجيات حرصاً ... وليس من حنقه بناج

رجا أموراً فلم تقدر ... وكل من في الحي الحياة راجي

الحاء

إن ابن آدم لشحيح. سوف يمرض من القوم صحيح. تعصف بعقده ريح. فإذا هو لقي

طريح. ثم يحفر له ضريح. أن ذلك هو التبريح.

نظمه (مخنع البسيط)

يا أيها المنسك الشحيح ... سيرض السالم الصحيح

مالك لم تنزع بعقل ... هل عصفت بالعقول ريح

إن شيد القصر في سرور ... فبعده يحفر الضريح

يطرح الهم بالنايا ... من جمسه في الثرى طريح

الحاء

بكي على الميت مواخ. كان أجاء في تراخ. فلقته الصارخة عن الصراخ.

نظمه (مخنع البسيط)

في الله أخى فقى ليب ... وأسلم الهالك المواخي

بكى عليه فهل تراه ... في أجل دائم التراخي

اعتقد الحق واعلمه ... لا تزرع الحب في السباح

الذال

أما بصرك فحديد. وأما ثوبك فحديد. وظنك بقضاء الله مديد. وحولك العدد والعديد. ولكنك سواك السديد. طرقت وعد ووعيد. فهل تبديء وهل تعيد. أم غريبت هو السعيد.

نظمه (وافر)

أرى منكاً تحف به موال ... له نظر إلى الدنيا حديد
صفاء برد الشباب عنده حتى ... مضت حقب ومنبه جديد
يزول القيظ في صيف ومشتى ... ويستمر شخصه ظل مديد
وفت عُد لديه فمن دروع ... وأسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زماناً ... ولكن طال ما شقي السعيد
بدا شخص النون لناظريه ... وقيل له أبدي أن تعيد
تصعد في المرتب غير وإن ... وأحرزه على الرغم الصعيد
تفرقت الجيود فما هتد ... وأبطلت المواعيد والوعيد

الذال

أما العيش فيند. ولكن سبه يجند.

نظمه (مقارب)

يند الفتى غفلات الحياة ... وليس بمحصل ما يند
يمد له الظن آماله ... ولكنها عن قليل تجند

العاجلة سبيل مفوذة. وهي عند أهل الرشد مبنوذة. والأنفس بحق مأخوذة. لا الدرع
تففع ولا الخوذة.

نظمه (سريع)

أنفذ من الدنيا ولا تنتفت ... فأثما بالعنف مفوذة
حازتك فانبذها إلى أهلها ... فهي لدى أختيار مبنوذة
ولا تمسك بحبالها ... تصبح من كفيك مخوذة
مأخوذة مانعة في الوري ... نفس بحكم الله مأخوذة
لا مقية أغت ولا رقية ... ولا تمينات ولا عوده

الراء

لقد هجرت الخدور. وغدر بها الزمان الغدور. فإذا الخدر عوضه قبر. هل ينفعك جزع
أو صبر. من بارتك يجري المقدور. وتفى الشهب والبدور.

نظمه (مخنع البيط)

تظهر أسرارها الخدور ... بما قضى الواحد القدير
كم دار في خاطر ضمير ... من فنك دائب يدور
وضاق صدر بمشكلات ... تضيق عن مثنها الصدور
يثبت فرد بلا قرين ... وهلك الشهب والبدور

الزاي

لا تبرزي يا غانية. فإنما الدنيا فانية. سترك بكنة والداك. فتمسك بالنسك بذاك. الورع
ذهب إبريز. والجدث حرز حريز. قد قلنك فتاة رود. وتلبث مستة ترود.

نظمه (مخنع البيط)

يموت قوم وراء قوم ... ويشب الأول العزيز
 كم هنكت غادة كعاب ... وعمرت أمها العجوز
 أحرزها الوالدان خوفاً ... والقبر حرز لها حرير
 يجوز أن تبطن المنيا ... والخند في الدهر لا يجوز
 السين

يا ابن آدم كم تحرس وتحترس. والموت أسد يفترس. إن كنت بجبل أو واد. فإن الأودية
 مثل الأطواد. يسمعها من الله داع. جل رب العظمة والابتداع.
 نظمه (مقارب)

أيحترس المرء من حشده ... وما حاد عن يومه الخترس
 هل الناس إلا نظير السوا ... م وآجالهم أسد يفترس
 يحل الربا ويحل الوهود ... ولا بد للربيع أن يندرس
 الشين

لا تك ذا يش. وأعجب لما وهب من العيش. ما فعل آدم وبنوه. كم أدرك الشر
 مجنوه. يبدي التوفر أخو المعيشة. والجبل مثل الريشة. المنزل لأمر معروش. وبالقدر تثل
 العروش.

نظمه (مخلع بسيط)

أين مضى آدم وشيث ... وأين من بعده أنوش
 مر أبي تابعاً أباه ... ومد وقت فكم أعيش
 لا منك إلا لرب عرش ... تُثل عن أمره العروش
 خف من الخوف كل طود ... حتى كأن الجبال ريش

تطيش نيل الرماة منا ... وأسهم الحنف لا تطيش
ولم يزل لنتون جيش ... تفل من ذكره الجيوش
يحث بالنعش حامله ... وشد ما سارت النعوش
لا حبذا الأنس والخطايا ... وحبذا النسك والوحوش

الصاد

المراء عما وجب ناكص. والشخص للحدث شاخص. إن ظل القانية لقالص. فهل
خنص إلى الله خالص. إن دينك لردية في الحار. إنما يدرك بغوص البحار. وعُدِم دين
في الأنام. وكان كالحنم في المنام.

نظنه (سريع)

من ادعى النسك على غرة ... فقل له ما صدق الخارص
والنسك مثل النجم في بعده ... والخلق إن ينفه ناكص
كالدرة العذراء ما نالها ... إلا امرؤ في بحر ما غائص
في لجة قامصة سفنها ... ويصرع المستمسك القامص
تنعب بالآلواح أمواجهها ... كأنها مركبها راقص
نحن كتب عامه مجذب ... وماؤه مستكر ناقص

الضاد

دينك عنه المرض. ضاعت النافلة والمفترض. وخدعت هذا العرض. وجسنتك ضعيف
حرض. لقد بعد منك الغرض. وسوف يطنب المقترض.

نظنه (منسرح)

دينك مضى أصابه سقم ... والخسر في أن يمجته المرض

وهل ترجى لديك نافلة ... من بعدها ضاع منك مفترض
 غرضت من هذه الحياة فهل ... غرك فيما ترومه غرض
 تميل من جوهر إلى عرض ... والروح في جوهرها عارض
 حرصك الشيب أن تنوب فما ... تبت فهلا تذكر الحرض
 أقرضت عنراً فما صنعت به ... سوف يرد الأناج ما اقترضوا

الطاء

فودك علاه الشط. والمرء ينقص ويقط. كالطفل كهنتك فهلا يقط. لقد عرف هذا
 النبط. والنفس تطعن ولا تضبط. وأجر من كفر يحبط. أبين موقف لا يغبط. والموت
 في العالم منبط. وعائد المنة لا يقط.

نظمه (هزج)

إلا أحرص والرغبة في أشيب كالأشط
 وكالطفل إذا الكهل ... فما لنكهل يقط
 ولا يغضب أخو الرية ... أن ينقص أو يقط
 فما الخاسر إلا كما ... فر أعماله تحبطك
 بني آدم إن تعصوا ... فما أخسر من يقط
 غبطتم صاحب الثرو ... ة والزاهد لا يغبط
 أما تعنط في الدهر ... بأن توجد لا تعنط

الطاء

أنا دينك فمتشط. وأنت على الفانية مقلظ. متقرب بالمين متحظ

نظمه (مخنع البيط)

لو بغيت الذي أراد بك الله لأعطاك فوق ما أنت تبغي

الفاء

طال والكنف فأين الخنف والسنف. إن العافية هي التنف. وعند البارئ تكون الزلف.
إلا تكذب وتحنف. ولإثم لو ظهر أكنف.

نظمه (مقارب)

كنفت بدنياك شر الكنف ... فجاءتك مما صنعت الكنف
تبعث الغواة وما أسنفوا ... فهلا أخذت بقول السنف
وصدقت نفسك في ظنّها ... وكم قال مان لما حنف
تحنف مالك للنوارثين ... وكانوا بعلمك بشس الخنف
ترجي الحياة وأسبابها ... وتطنب عند المنيك الزلف
ولو ظهر الأثم للناظرين ... لراعن في الوجه منه كنف
نصحت فأذن إلى من يقول ... تلاف أمورك قبل التلف

القاف

قنك معنى يحقق. يخاف من عاجلتك ويشفق. وبارئك هو المرفق. أصبحت من عنرك
تنفق. ترفع العذر وتنفق. وأنت في مطلبك محقق. يطول تعبت فلا ترفق.

نظمه (سريع)

إن خفق البارق في عارض ... فالقنب من روعته يحقق
تأسف إن أنفقت مالا ولا ... تأسف من عنرك إذ تنفق
تظل من فقد الغنا مشفقاً ... ومن قبيح الإثم لا تشفق
مرتفقاً في وطن حافطاً ... تسأل ما هان فلا ترفق

يعود عن غيبك من شامه ... وهو شديد ظمؤهُ محقق

الكاف

سبح إلهنا الفنك. وقدر البشر والمنك. والجسم في العفر يستهلك. والمرء بالعارفة
يمتك. والنهج للآخرة يمتك.

نظمه (عجزو الرجز)

سبح مع الشهب كما ... سبح من قبل الفنك
قدس إنسان عني ال ... أرض وفي الجو منك
لا تبك لنيت فكم ... مات كريم وهنك
ما خبر الغابر عن ... دفينه أين منك
مالك شيء وإذا أطعت فالرحمة لك

اللام

غرك تفصيل وجل. والحى خدعه الأمل. سعين فسد والعمل. ما نفعك هج ولا رمل.
كأنك بين الجهل همل.

نظمه (سريع)

مازلت مشغولاً بلا خشية ... يغرك التفصيل بعد الحمل
تحملك الأرض عني ظهرها ... وأنت سار فوق ظهر الأمل
مالي أرى عينك لم تملا ... كأنما أنت مخني همل
ما يشفع لحسن لأصحابه ... إن حسن الوجه وساء العمل
رمنت في مكة تبغي الهدى ... فهل هناك السعي بعد الرمل

الميم

المراء فما انتهى. مازال في العاجلة يزدهى. إن قبل ما أحسن وما أبهى. فأيقن
صاحبك لما وهى. وطال ما نعم ولما. ونال في العسر ما اشتهى. ما بين غزلان ومهى.
دهاء الزمن فيمن دها. والله عسر بالنهى. مصور القصر والسها.

نظمه (السريع)

المراء معتب على فعنه ... كم سمع النهي فلا انتهى
زايله النهو وزار البلاء ... وطال ما عاينته مزدهى
باهى زماناً بالذي ناله ... ثم أتى الموت فأين البهى
وهت عقود كانفي عصره ... أحكمها لا عاقد ما وهى
ما شهوات الحي إلا أذى ... إن نال من مدته ما اشتهى
كأن يرى في غزل دائماً ... ما بين غزلان له أو مهى
دهاء بالمقدور لم يدفع الخطب عن مهجته إذ دهمى
سها عن الواجب فاعتاله ... مصور البدر ورب السها

الوار

أما صحبتك فقد غروا. عبوا في المورد فما ارتووا. أبادقم الأقضية حتى تووا. خنوا
لنوارث ما احتووا. طواهم القدر فانطروا. ولا تهم الآخرة بما نووا.

نظمه (سريع)

لا تغرو في دنياك مستهتراً ... فإن أصحابك فيها غروا
عزلمهم في سرهم مورد ... لو كان يروي مثله لارتووا
نادقم الأقدار يا ساكني الأرض ألا تنوون حتى تووا
خلو أحاديثهم واحتوى ... آخذ ميراث على ما حووا

انتشروا في عيشتهم أعصراً ... ثم طواهم قدر فانظروا
فتحسن النية من بعدهم ... فالتناس يحزون غلى ما نورا
اللام والألف

كل غدا يخدم أملاً. يسيء في ما بطن عملاً. يصبح بصفه مشتتلاً. لا يطنب رزقه
محتفلاً. والرزق ولا يترك متوكلاً. لم يرد في العالم حياً.
نظمه (بسيط)

ما في البسيطة من عبد ولا منك ... إلا حنيف عتاء يخدم الأملا
يبحث نفساً عن الإحسان عاجزة ... وقد أساء بعنم الواحد عملاً
فهل ترى الدهر أنثى أو ترى ذكراً ... يشابه امرأة في الخلق أو رجلاً
يروم بالسيف رزقاً جاء في عنف ... ما كان يخطوه في خفض لو اتكلاً
يبغي المعالي في أوفى مجاهدة ... فإن تخلف عنها لطف الحياء
يا ساكني التراب ما عندي لكم خير ... فليت شعري عن القبور ما فعلاً
لم تأتينا منكم رسل مخبرة ... ولا كتاب إلينا منكم وصلاً
الياء

الحي بعد العيشة رديء. وجاءه القدر فيما فدي. وشخص بالقاضية ردي. لم يوزق
النهل إن صدي. لكنه عن ذلك عدي. أظنته العاجلة فما هدي. وجادته الاسمية فما
ندي. وقتته الحادثات فما ودي.

نظمه (سريع)

المرء في أردية لونت ... ماش ولكن بعد هذا ردي
فدى الأسارى زمناً ذاهباً ... وجاءه الموت فألا فدي

والهند وكانت خليقة بعد هذا كنه أن تروي لنا التاريخ العام لمثل رواية وتحدثنا عند
اصدق حديث لولا جهل السالفين وضعف الخالفين من أبنائها فما أقدر هذه اللغة عني
الحياة وما أصبرها عني الخطوب.

صعوبة البحث التاريخي عن نشأة اللغة العربية

ذلكم أيها السادة أول عهد اللغة بالحياة ولكن في أي قرن ابتدأ هذا العهد. ؟ وكيف
كان ابتداءه. ؟ وما هي الأصول الحقيقية للغة السامية التي اقتطعت منها هذه اللغة
وكيف كان اقتطاعها. ؟ هذا ما لم يعرفه التاريخ إلى الآن وقبل أن أشير كما وعدت
عني أسباب ذلك يجب علي أن أبطل مذهباً يلهج به بعض الكتاب الذين كثير عليهم
العلم حتى ضاقت به صدورهم فأخذوا يقذفونه في الصحف من غير حساب ويبيعونه
عني الناس من غير ثمن ويتحنون به لأنفسهم القاب العلماء والمؤلفين. ١٤.
زعموا أن اللغة العربية نشأت كما نشأت لغة الطفل فكانت في أول أمرها أصواتاً أحادية
المقطع لا يزيد النقط منها عني حرف متحرك كباء الجر ولامه وكاف التشبيه وأحرف
القسم وهمزة الاستفهام.

ثم تركت هذه الألفاظ بتركب معانيها ومرونة الألسنة عني النطق والحركة فبلغت
مقطعين وثلاثة إلى أن استقرت في نصابها المعروف فلم تنقص في الاسم والفعل عن ثلاثة
أحرف أصول لم تزد في الأول عن خمسة وفي الثاني عن أربعة إلا بحروف غير لازمة
وهي الزوائد عني أن هذه الحروف لم تطع أن تبلغ بالفعل أكثر من ستة وبالإسم
أكثر من

سبعة غير الحركات التي لا تحب عند العرب حروفاً كما تحب عند غيرهم من
الفرنج. .

بسم الله وبه تقى

نحمدہ تعالیٰ علیٰ أن یسر لنا الوفاء بما وعدنا به يوم إنشاء هذه المجلة من إرادة التحنن في موضوعاتها وتكثير موادها وتكبير حجمها وتجميل مظهرها بحسب سنة النشر الطبيعي. وهما نحن أولاء نبدأ الآن بنشر السنة السابعة بزيادة عدد صفحات مجلد السنة بحيث يقع المجلد في ٩٦٠ صفحة وكان كل مجلد في السنين الأربع الأخيرة يصدر في ٨٠٠ وفي السنين الأوليين في ٦٧٢ وتوسيع الحجم يقتضي ولا جرم التوسع في الأبحاث وإشباعها نظراً وتدقيقاً.

لم نفرغ كل الفراغ في السنين الماضية إلى الانقطاع لما نحب المبالغة في البحث فيه لتجويد تأليف هذه الصحيفة لأن العمل في الصحف السياسية أضاع علينا جانباً من أوقاتنا بحكم الضرورة بيد أننا لم نغفل يوماً ونحن وسط ذاك العراك الشديد عن اقتباس كل ما نعتقد فيه الغناء لفائدة القراء الأعزاء.

أضف إلى هذا أن السنين الثلاث الماضية من سني الدستور العثماني كانت ومازالت أيام اضطراب وفق وبلاء ونحن وفي مثل هذه الحال يصعب على من يعمل بعقله أن يصرف قواه كلها إلى تعزيز كنمة العلوم والآداب وهي لا تنمو إلا في ظل الأمن والراحة والقائسون يخدمونها أحوج الناس إلى السكون والانقطاع للتدبر والتفكير ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جنة.

فرجائنا أن يكون جو الأعوام المقبلة أكثر صفاء لنحسن الاضطلاع بأعباء هذه الخدمة الشريفة ونبني البلاء الحسن في نشر النافع في النهضة الفكرية في الديار العربية إذ كل سعي ضائع بدون لأن يسبقه هوى عسفي واقتصادي وأدبي والله ولي التوفيق.

ملتقى السبيل

ومن اعترافه بالبعث والمعاد في هاتيه الرسالة كقوليه وفي الآخرة يكون الخجوع وقوله وعند الباري تكون الزلف وهلم جرا.

أما أسلوب هذه الرسالة في مجملها فهو يشابه كثيراً لهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التي كان يلقيها خطباء العرب كحسان وائل الباهلي وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وأمثالهم بأسواق الجاهلية. وإليك نموذجاً من كلام قس بن ساعدة خطيب بني إباد الذي قل فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيته بسوق عكاظ على جمل أحكر يقول: أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا. من عاش مات. ومن مات فات. وكل ما هو آتٍ آتٍ. في هذه آيات محكمات. مطرونيات. وآباء وأمّهات. وذاهب وآت. ونجوم تمور. وبحور لا تغور. وسقف مرفوع. ومهاد موضوع. وليل داج. وسماء ذات أبراج. مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون. أرضوا فأقاموا. أم حبسوا فناموا. يا معشر إباد. أين ثود وعاد.

وأين الآباء والأجداد. أين المعروف الذي يشكر. والظنم الذي لم ينكر:

في الداهيين الأولين ... من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد ... لسنوت ليس لها مصادر

ورأيت قوهي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الباقي غابر

أيقنت أنني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

وسوف يرى القارئ ما بين الكلام المتقدم وحل المعري وعقده في منقح السيل من مطابقة المعنى ومشابهة اللهجة.

أما النسخة التي اعتمدنا عليها في النقل فهي محفوظة بمكتبة الأسكوريال من بلاد
 الأندلس تحت غمرة ٤٦٧ وهي بخط الراوي لها القاضي الإمام الشريف أبي محمد عبد
 الله ابن القاضي أبي الفضل عبد الرحمن بن يحيى الدياجي العثاني رسمها بالإسكندرية
 أوائل القرن السادس وقد اعتنى برسمها وضبط جملها بطريقة ثابتة مدققة وهي فيما
 اعتقده أقدم نسخة لمنقى السيل ولا يبعد أن تكون هي التي عول عليها أدباء الأندلس
 في معارضتهم لما فقد جاء في نفع الطيب أن الحافظ أبا الربيع الكلاعي الأندلسي
 المتوفى بالجهاد سنة ٦٣٤ هـ. عارض هذه الرسالة بتأليف سماه مفاوضة القلب العليل
 ومناظرة الأمل الطويل بطريقة المعري في منقى السيل. كما تحتوي مكتبة الأسكوريال
 نفسها على كتب (غمرة ٥١٩) من وضع الكاتب الشهير أبي عبد الله محمد بن أبي
 الحصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين عارض به منقى السيل أيضاً. ومن
 جهة أخرى يوجد بمقدمة النسخة التي لدينا وهي كما قدمنا صورة فوتوغرافية من
 الأصل الأندلسي كثير من الإجازات تنبئ بقراءة هذه الرسالة على أساتذة متصنعين
 تتحقق رواياتهم بالراسم الأول نعتي عبد الله الدياجي. وأقد توقيع من هذا النمط
 مؤرخ سنة ٥٦٢ وهو مما يستدل به أيضاً على اهتمام الأندلسيين بتأليف المعري.
 وعسى أن ننشر فيما بعد رسائل أخرى من وضع هذا الفيلسوف الشاعر والله ولي
 التوفيق.

تونس ١٠ ربيع الأنور ١٣٢٩

ح. ح. عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أصبحت في غمرة وهو ... تجي بالمين كي تحظى
احذر على الدين من تشظ ... فالبر منقى إذ تشظى
لو هاب حر النظى مسيء ... ما احتاج حرصاً ولا تنظى
فأبد للساثنين ليناً ... ولا تكن في الجواب فظاً

العين

المراء خدعه الطمع. مرأى في الزمن أو مسع. يدأب الرجل ويجمع. خنب وميض
يلسع. والعين لنحذر تدمع. والسحب بالأقضية همع. وفي الآخرة يكون الجميع.

نظمه (السريع)

غرك ما يخدع من زحرف الدنيا فزاد الحرص والطمع
عنيت أن الدهر في صرفه ... مفرق عنك الذي تجمع
سمعت بالخطب وعانيت هل ... كفك ما تبصر أو تسع
تدمع جفناك على زائل ... والعين للرهبة لا تدمع
كم أومض البارق في عارض ... فألفي الكاذب إذ يلسع
سحب تجنى خالياً دجنها ... عنكم وسحب بعدها همع

العين

إنك إلى الدنيا مصع. وجهها للبشر مطع. لو أنك لشأها منع. أبغاك ما تأمله مبغ.

نظمه (خفيف)

صاغك الله للجمال بقنب ... معرض عن نصيحة ليس يصفي
تكثر اللغو في المقال ولو وفقت ما كنت للديانة منفي
لم تزل تزر الطغاة فلا تطغ فحب الدنيا لمثلك مطفي

أفي مصعك حل الصنم. أم لك أصاب النسم. وتحسن للأنيس الهنم. وفي التراب
تطوى الرمم. وفي الباطن تخاف الذمم. عَنَى ذلك تمر الأمم.

نظمه (سريع)

مالك لم تصع إلى عاذل ... أحل في المسع منك الصنم
أجاهل أنت فصحى عَنَى العصيان أم مس حجاج النسم
همتك العليا هوت في الثرى ... وشينة الزاكي عنو الهنم
لم تف بالذمة للحر والحر مراغ وإقيات الذمم
والذكر يبقى لنفتى برهة ... وإن توارت في التراب الرمم
تيسم الخير ولا ترهب الموت فلنبوت تصير الأمم

النون

نله الكرم والمنن. وعن بارتك تزول الظنن. ولا يستر من الموت الجنن. وبالعاصف
يراع القنن. ولا تعصك تلك القنن.

نظمه (سريع)

ويحك لا قنن عَنَى منعم ... عليه فالخالق رب المنن
فطن حراً بالإخلاء وإلا فالخير يخفو الظنن
يحكن القبر فلا تنف كالجئون يبغي وإقيات الجنن
وافق في خوفك رب العلا ... وأنت في سرحك مثل القنن
إنك قن لمليك حوى المذك فلا تعصم منه القنن
لخرغ السن غداً نادماً ... إن كنت ضيعت جميل السنن

الهاء

فيا ردي العقل إن الفتي ... لم يدفع المقدور حتى ردي
 ظل صداه في الثرى ساكناً ... ولم يصادف نهلاً إذ صدي
 رنت له الأعداء إن عاينت ... صاحبها عن كل خير عدي
 كان الهدى يهدى إلى قلبه ... من سمعه لو أنه يهدي
 جادت له اسمية برهة ... وعاد يمساً غصنه ما ندي
 لا يطلب الثأر لميت ولا ... بودي لعمر الله فين ودي
 نجزت والحمد لله وحده.

هل تسترد اللغة مجدها القديم

يستطيع التاريخ الأدبي أن يبين حدود النشأة الحقيقية لكثير من اللغات الميتة والحية
 ولكنه لا يستطيع أو على الأقل لم يستطع إلى الآن أن يبين شيئاً من ذلك بالقياس إلى
 اللغة العربية التي ينطق بها من أهل الشرق الخلق الكثير.

ولا شك في أني قد خصصت جزءاً من هذه المحاضرة للإشارة الموجزة إلى تكلم
 الظلمات الكثيفة التي حجبت لغتنا الشريفة عنا يشرف به التاريخ على الأشياء من
 بصورة ثابتة ونظر بعيد ولكنني لم أستطع أن أخصص جزءاً منها لإيراد الأعاجيب
 والمضحكات التي يوردها أكثر الخطباء في خطبهم لأنني لا أطع فيما يطعون فيه من
 التصفيق الحاد والإعجاب الشديد فياليكم أتقدم بالمعذرة ومنكم أتمنى المغفرة وأظنكم
 لم تجتمعوا في هذا النادي لتضحكوا أو تصفقوا فإني لم أر بنداً أهمل أحوج إلى قلعة
 الضحك وكثرة البكاء من هذا البلد. . . ولولا ثقتي بأنكم تعنون من الأمر ما أعلم
 وتشعرون بالواجب كما أشعر لقلت لكم مقالة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في
 بعض خطبه لو تعنوا ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

أجل إنا قد أسرفنا في الهزل والجون وقصرنا في الجد والعمل وكان حقاً علينا لو أنصفنا أنفسنا أن نقتصد من الهزل ما تنفق في الجد ومن الفراغ ما نسين به على العمل قبل أن يعضل الداء ويمتنع الدواء ونقضي ضحايا التقصير والنهو الكثير وهنالك لا ينفعنا الندم ولا يعذرنا التاريخ.

قدم عهد اللغة العربية

نشأت لغتك أيها السادة والإنسان طريف عهد بالوجود لم ينبغ أشده ولم يستكمل قوته بل كان طفلاً ناشئاً حديث السن ضيق الفكر صغير العقل ولست أقول هذا القول يديجاً للفظ أو مبالغاً فيه وإنما هي الحقيقة الثابتة التي ليس فيها مجال لشك ولا جدال فإن هذه اللغة هي أول غصن نبت من لغة سام بن نوح عليها السلام وقد قطعت مع الإنسان هذا القدر من الزمان وعمرت معه منذ كان طفلاً إلى أن صار كهلاً وما أنتم أولاء تسعونها مني فتشعرون بأنها لا تزال حية قوية تثبت بأجنى بيان أنها أطول اللغات عمراً وأشدها أسراً وأعظمها قوة على الخطوب وعبراً على الأحداث.

فكم ماتت اللغات وهي حية وفيت النهجات وهي باقية وكم حاربها الدهر فحربته وغالبها فغلبته ورامها بالسوء فامتعت عليه.

وقد أدركت هذه اللغة نضرة اللغات وذبولها وإشراقها وأفولها وشهدت مصارع أخوتها الساميات وهن يخانين سراعاً ويتهاوين تبعاً حتى عنهن الموت وشملهن الفناء هنالك عاشت فذة فريدة تتمثل قول شاعر أبنائها الخيدين

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيوف فردا

أجل وقد أدركت هذه اللغة هوي الأمم الهاوية ورقي الشعوب الراقية فشهدت عظمة بابل وآشور ومصر وأشرفت على نخسة إسرائيل ورأت مجد اليونان والرومان والفرس

أقسام الإنسان كالباحث الماهر والطيب العارف من غير حنان ولا شفقة على هذا النوع الإنساني وبدون أن يبين في وصف الأدوية التي ينبغي اتخاذها واستعمالها للاتقاء وتسليّة تلك المواجه.

وهناك علاقة وتشابه آخر بين أبي العلاء وشبهناور وهو كونهما لم يتزوجا وعاشا في عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع مما أثر في طبيعتهما وجعلهما يتشاءمان وينتقدان الهيئة الاجتماعية ويتناولان أهل الدين وأرباب العشائر والنساء والاعتقاد ويبيان الظن بالدنيا وساكنيها.

والفرق بين العالمين هو كون شبهناور استقل في علم الفلسفة ودراستها والتدوين فيها بخلاف المعري الذي لم يشغل بالفلسفة من حيث هي علم وإنما كان يبحث عن أسباب الأشياء وتعليل وجودها فتخطر له خطرات حكمية تحوذ على مخيلته وذهنه الحاد فبكها قريحته الشعرية في تلك القوالب لعجبية التي تظهر من قصائده.

بقي أن نتكلم عن رسالة منقى السبل التي نقدمها اليوم إلى محبي الآثار العربية والمولعين بنثر شاعر الفلاسفة وفينسوف الشعراء ونظمه.

يظهر من هيئة هذه الرسالة وإنشاءها أن المعري ألفها في الدور الأخير من حياته زمن عزله وانقطاعه (حوالي سنة ٤٣٠ هـ) وقد زهد في الدنيا لكبره واقترب أجنه. فكأنه أراد الرجوع للنبداء الدينية وسلك طريقة الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد. وأين قوله زمن صغره لما كان في غزارة قواه وعنفوان شبابه:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تخطئنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

والحقيقة أن هذا المذهب لا يصح إلا إذا قلنا أن العرب ليسوا من بني آدم أي البشر وإنما هم أبناء رجل آخر نشأ في جزيرة العرب من غير أم ولا أب ونشأت منه زوجة واستقر نسلها في الجزيرة لا يختلط الناس حتى تكونت لغته وضمنت لنفسها عدم التأثر بالأجنبي والدخيل.

أما والعرب من أبناء سام بن نوح وبعبارة أوضح من أبناء آدم فليس لهذا المذهب من الصحة نصيب قليل ولا كثير.

إنما تنشأ اللغة هذه النشأة إذا اقتطعت من الطبيعة مباشرة من غير أن يكون لها مثال تحذيه أو منوال تنسج عليه فأما اللغة التي لها أصل ثابت معروف كاللغة العربية فليس من المعقول أن يطرد فيها هذا المذهب وعنى هذا نستطيع أن نقول أن هذا المذهب يصح بالقياس إلى لغة واحدة وهي لغة الإنسان الأول التي اقتطعها من أصوات طبيعة وكما أن أسرة الإنسان الأول قد تفرعت إلى أسر مختلفة ثم كانت منها أمم وشعوب فإن لغتها الأولى قد تفرعت إلى لهجات متباعدة ثم كانت لغات متباينة وعنى هذه القاعدة استطاع الفرنج أن يترجموا كثيراً من اللغات الدارسة.

أما الأسباب الحقيقية التي نشأت عنها صعوبة البحث التاريخي عن اللغة العربية حتى عمت علينا أسرارها وأسدت دوننا أسرارها فوقف الحائرين الداهنين بغزاء كثير من ألفاظها لا نعرف لها أصلاً ولا تسميز لها اشتقاقاً فهي كثيرة أكثفي بالإشارة إلى ثلاثة منها الآن.

الأول أن معرفة النشأة الحقيقية للغة رهينة بمعرفة أصلها الذي اقتطعت منه فما كنا لنعرف نشأة اللغة الفرنسية لو لم نعرف اللغة اللاتينية.

كذلك لا نستطيع معرفة نشأة اللغة العربية حتى نعرف اللغة السامية الأولى التي هي أصلها ولكنها مع الأسف قد بادت واندجعت في بناتها قبل التاريخ فلم يبق لنا إليها من سبيل.

الثاني أن ضياع الأصل لا يقطع الرجاء في الوصول إلى بعض حقائق اللغة في نشأتها إذ استطعنا أن نستعين على البحث بالمقابلة بينها وبين أخواتها من اللغات الأخرى ولكننا مع

الأسف لم نفعل شيئاً من ذلك ولم نفكر فيه فقد كان ثمة اللغة رحيم الله في عصر يمكنهم من ذلك لأن كثيراً من اللغات السامية كانت لا تزال حية على عهدهم ولكنهم قد عكفوا على جمع اللغة وتدوينها من غير أن يفكروا في البحث عن أصلها وقد أخذت تلك البقية الباقية تندمج في اللغة العربية بحكم القهر والتغلب الفطري حتى لم يبق لها من الأثر إلا قليل.

ومن الغريب أيها السادة أن علماءنا رحيم الله بدل أن يبحثوا عن اللغة السريانية من حيث علاقتها باللغة العربية بحثوا عنها من حيث أنها ستكون لغة الأروام وسيكون وأظنكم تضحكون إذا سمعتم قول بعض العلماء

(ومن غريب ما تري العينان ... أن سؤال القبر بالسريان)

(أفتى بهذا شيخنا البلقيني ... ولم أره لغيره بعيني)

هذان بيتان يمثلان ضعف السليقة العربية وفسادها قبل كل شيء أقبح تمثيل ويمثلان سقوط المهمة وانحطاط النفس لأنها قد تركت النافع وبحتت عد ما لا خير فيه.

وأي ضعف للسليقة العربية أكثر من جعل الأقوال التي تسنع بالأذن مرئية للعيون وأي انحطاط للنفس أكثر من أن تترك الحياة وتبحث عن الموت.

ولو أُنِيَ وكنت بإصلاح هذين البيتين لقلت :

(ومن سخيـف ما تعي الأذنان ... إن سوء الـ القبر بالسرياني)

(أفتي بهذا شيخنا البقيني ... وهو حديث كذب ومين)

عَنَى أن المستشرقين من علماء الفرنج قد بحثوا هذا البحث الذي تركناه وسلكوا تنكم الطريقة التي أغفناها فاهتدوا إلى حقائق في تاريخ اللغة العربية لا بأس بها وليس هذا موضع تفصيلها الآن فليس علينا إلا أن نتأثرهم في هذه الطريق فافهم ليسوا أحق منا بالبحث عن لغتنا والتقيب عنها.

السبب الثالث أن العرب ولا سيما أهل الحجاز الذين نبحث عن لغتهم الآن قد كانوا أمة بادية لم تشترك مع غيرها من الأمم في تكوين الحضارة الإنسانية اشتركا حقيقياً إلا بعد ظهور الإسلام فكانت في جاهليتها محتجة عن التاريخ ولذلك لم يحفظ عنها إلا أساطير حظ الظن منها أكبر من حظ اليقين.

اللغة العربية في الجاهلية

نشأت هذه اللغة وتكونت ألفاظها وأسايلها وهي بمعزل عن الناس قد جعلت البدواة بينها وبين التاريخ حجاباً مستوراً وكأنها قد سئت الحفـاء والاحتجاب ورغبت في الظهور ومجـارة اللغات الحية وظهرت لتاريخ في القرن الخامس لميلاد المسيح ومتصف القرن الثاني قبل الهجرة فإذا لغة ضخمة الألفاظ فخمة المعاني متينة الأساليب رصينة التراكيـب قد تم خنقها وكسفت قواها فأصبحت قادرة على البقاء مستعدة للنشأ وقد سنكت في الآداب الوجدانية كل مسلك فندحت الخير والفضيلة وذمت الشر والرذيلة وأخذت بنصيب موفور من المدح والهجاء والوصف والثناء والتشبيب بالنساء والفخر بشرف المناسب وكرم المناقب واشتغلت عني الجم الكثير من الحكم البالغة

والأمثال السائرة ومن الخطب الرائعة والأسجاع الباردة ولم تدع فناً من فنون الأدب
الوجداني إلا ضربت فيه بسهم وفازت منه بنصيب.

إذ صح ما يقولون من أن مقاييس الرقي الأدبي لكل أمة من الأمم هي أشعارها وأمثالها
وأغانيها لأن الأشعار مرآة النفس والأمثال صور الفكر والأغاني لغة القلوب.

أقول إذا صحت هذه القاعدة وقمنا رقي العرب في جاهليتهم بهذه المقاييس الثلاثة
كانت النتيجة مؤلمة جداً لأننا لا نستطيع أن نتردد لحظة واحدة في الحكم بأن العرب
الجاهليين الذين لم يؤدبهم أستاذ ولم يشقهم كتاب ولم يصلح أخلاقهم دين أرقى منا
أنفساً وأذكى قلوباً وأبعد منا هماً وأصدق عزماً والدليل على ذلك سهل ميسور تعالوا
نقارن بين أشعارنا وأشعارهم وأمثالنا وأمثالهم وغنائنا وغنائهم ثم نستخلص من هذه
المقارنة نتيجة الحكم فأبي الفريquin كانت له النتيجة فهو صاحب الغلب والفوز.

غير أني أيتها السادة أستحي أن أقارن بين قول امرئ القيس في التوصل على حبيبته

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالاً على حال

فقلت حبالك الله إنك فاضحي ... ألت تری السمار والناس أحوالي

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصائي

فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها ... عليه القثام سيء الظن والبال

يفط غطيظ أبكر شد خناقه ... ليقتلني والمرء ليس بقتال

أبقتني والمشر في مضاجعي ... ومسنونة زرق كآنياب أغوال

أستحي أن أقارن هذا الشعر الفخم الذي يمثل القوة والعزم ويظهر قائده مظهر المتسلط

القاهر وبين ذلكم الغناء المصري القاتل - يالموني يالموني يالني في حبك ظنوني -

ياملوني وأنا أحب الخصر ياملوني ولا آكل الخصر ياملوني وحيي في مصر ياملوني عني من
مجيولي . . .

قفوا أنفسكم أيها السادة موقف الحاكم الفاصل بين الحق والباطل وحدثوني أي معنى
لنداء النيبون في هذا الغناء وهو الذي ظنم هذا العاشق في حبه وما هي العلاقة بين
أكل الخصر وبين الحب ومن ذا الذي يستطيع أن يكون قواداً لهذا العاشق بعد أن فقد
به العجز وضعف الهمة عن أن يصل إلى حب حبه إليه وأكرم كريم عنه.

لندع ذلك الشعر والغناء ولننتقل إلى شعر وغناء آخرين.

هل تستطيعون أن تقارنوا بين قولكم ذلكم الشعر الجاهلي في عتاب حبيته :

فإني لو تحتفني شمالي ... خلافت ما وصنت بما عيني

إذا لقطعتها ولقنت بني ... كذلك أجتري من يجتري

وبين هذا الغناء المصري القتال :

ارحم ميم له أحوال لما رآك قدي خلافة صعبان عنه . . .

حدثوني أيها السادة عن مقدار الفرق الكبير بين ذلكم الشاعر الجاهلي الذي يخاطب
حبيته بهذه النهجة القاسية وهذا الشاعر المصري الذي عرف أن حبه قد هجره
واستبدل به غيره فلم يستطع أن يعاتبه بأكثر من قوله أن هذا صعب عنه بل إنه لم
يستطع أن يقول هذه الكنة إلا بعد أن قدم بين يديها مقدمة طويلة في الشكوى
والاستعطاف.

ستقولون أن هذا الفرق بين الشاعرين أثر من آثار الفرق بين البداوة والحضارة فذلك
شاعر هيات له بداوته أن يخاطب حبيته بذلك الجفاء وتلك الغلظة وهذا شاعر هيات
له الحضارة أن يعاتب حبيته بهذا الرفق واللين.

كلا أيها السادة ليس تأثير الحضارة والبدادة في هذا الأمر كبيراً فإن الحضارة الصالحة لا تقتل عاطفة الغيرة من قلب الإنسان ولعنكم معتم خبر ذلكم الشاعر العباسي الناشئ في الحضارة إذا اشتدت به الغيرة عني حبيته حتى أشفق عليها من الهواء فقتلها وقال يرثيها:

يا طلعة الحمام عليها ... فجنى لها ثمر الردى بيديها

حكمت صيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري عني خديها

رويت من دمه الثرى ولطائلاً ... روى الهوى شفتي من شفيتها

فوحق نعلها ما وطئ الثرى ... شيء أعز عني من نعلها

كان قتلها لأني لم أكن ... أبكي إذا سقط الذباب عليها

لكن ضنت عني العيون بحسنها ... وأنفت من نظر الحسود إليها

نعم إني لا أريد أن يكون الناس غلاة في الغيرة كهذا الشاعر ولكني أريد أن أبين لكم أن هذا الفرق بين الشعاعين ليس من آثار البدادة والحضارة وإنما هو من آثار الفرق بين العزة والذلة فنكم شاعر أبي النفس حمي الأنف لا يقبل الضيم ولا يرضى العار وهذا عاشق ضعيف متكين قد رضي بالدون وقنع بالقليل واطمأن إلى الهوان.

ستقولون مآلت تقارن بين الجيد من الشعر العربي والردية من الكلام البندي وترك الشعر والنوابع الأفاضل والشعراء المفضين أمثال شوقي وحافظ صبري.

والحقيقة أيها السادة أن هذا الاعتراض محرج جداً لأنه يتعجني في الحكم على هؤلاء الشعراء وقد لا أستطيع أن أرضيكم بهذا الحكم ولكني أقول أن هؤلاء الشعراء ليسوا في الحقيقة شعراء مصر وإنما هم بين رجبين رجل فج منهج الفرنج فهو يعبر عن أذواقهم وأخلاقهم وعلى مناهجهم وأساليبهم وهذا لا ينبغي أن يحب على مصر وإنما

يجب أن ينحى بأوروبا ورجل نهج مناهج العرب القدماء فهو يكرر ما قالوه ويردد ما نطقوا به مع قليل من التغيير في النطق فهو يشبه القطا والظليم وهذا لا ينبغي أن يكون من شعراء مصر وإنما ينبغي أن يكون من شعراء القبور.

لندع الشعر والغناء الآن فهذا مقدار يكفي للمقارنة بينها ولنتقل إلى الأمثال فهل تستطيعون أن تقاربوا بين ذلكم المثل العربي القائل كل فتاة بأبيها معجبة.

وهذا المثل المصري القائل الخنفة عند أمها عطارة والقرود عند أمه غزال.

كفى كفى أيها السادة فقد أثبتت المقارنة بالدليل والبرهان إننا لم نصل من الرقي الأدبي إلى ما وصل إليه أولئك الأعراب وإن كنا أولي حضارة ومدنية وأصحاب علوم وآداب وذوي شريعة ودين.

آداب اللغة العربية وما دقها في الجاهلية

ارتقت آداب اللغة العربية في السادس ليلاد المسيح بمخالطة العرب لأهل العراق والشام فقد أخذوا عنهم يهودية موسى ونصرانية المسيح وربما انتقلت إليهم بعض الآراء الفلسفية التي أدخلها القسيسون في الديانة المسيحية كما في قول الأعشى :

استأثر الله بالبقاء والعد ... ل وولي الملامة الرجل

وكذلك أخذوا عنهم عقائد الصابئة وشيئا من مذاهب الخوس ونقلوا عن حضارة الروم والفرس كثيرا من الأدوات التي لم يكن لهم بها عهد من قبل وتبع ذلك نقل كثير من الألفاظ الفارسية والرومية ولا سيما فيما يتعلق بالنبات والسلاح وأدوات اللهو والطرب وأنواع الدواء والعقاقير وفي أثناء ذلك كان الجيش قد احتلوا بلاد اليمن فأدخلوا فيها كثيرا من لغتهم وكانت التجارة بين الهند واليمن فاستيعب ذلك انتقال كثير من الألفاظ السنسكريتية إلى لغتها ولا سيما فيما يتعلق بأنواع التجارة وأظن هذا

المقدار من الوصف قد مثل لكم اللغة العربية تشبهاً حسناً فأنتم ترونها الآن جميلة رشقة ولكن صدق المثل العربي القائل لا تعدم الحسناء ذمماً.

فإن تلك الجميلة الحسناء لم تخل من عيوب فقد كانت لغة قوم متوحشين يزعمون الأنفس ويهدرون الدماء ويعيثون من النهب والسلب ويستبيحون لأنفسهم بيع السر والعبث بأعراض العدو والتشيل بالمغلوب حتى أن أحدهم لينحصف نعله بإذن عدوه إن ظفر به أو قدر عليه.

وهم على ذلك أولو شظف بالعيش وخشونة في الحال يسكنون الجبال والرمال وربما أكنوا الخنافس والضباب وغدوا أنفسهم بدماء الإبل وأوبارها فنشأ من ذلك في لغتهم حوشية الألفاظ وتنافرها وجفوة المعاني وتعقيدها وقد كانوا فوق ذلك متافرين متدابرين قلنا تطعن قبيلة منهم إلى الأخرى فلم يكن من سبل بينهم إلى التعارف وبعبارة واضحة لم يكن من سبل إلى اتفاهم في المنطق فقد تباعدت اللغات واختلفت اللهجات لتعدد الأوضاع وتباعدت الأصقاع حتى أنهم كانوا لا يفهم بعضهم بعضاً.

وقد وفد أعرابي على منك من ملوك حمير فقال له الملك ثب يريد الجنوس فظن الأعرابي أنه يأمره بالقفز كما هي لغة الحجاز فوثب من أعلى الجبل حتى تردى في أسفله فلما سأل الملك عن ذلك واطنع طنع الرجل قال من دخل ظفار حمير . . . وقد أحس العرب من أنفسهم هذا الداء في أواخر القرن السادس لميلاد المسيح فأخذوا يطون له وبعبارة جنية أخذوا يتهيمون لهضتهم الجديدة في اللغة والدين والاجتماع فماذا صنعوا ؟.

مقدمات النهضة العربية

أقاموا بالقرب من مكة أسواق ثلاثاً كانوا يقضون فيها كل عام شهراً كاملاً من الأشهر الحرم وهو ذو القعدة ولم يكن لقبيلة أن تخفف عن هذا الاجتماع فكانوا يبيعون ويشتررون ويتقاضون ويتخاصمون ويتنافرون ويتناشدون حسان القصائد ويتبادلون ميثان الخطب وكان يجلس لهم قضاة يفصلون الخصومة فربما أعلن قوم الحرب على آخرين فردهم القضاة إلى السلم وربما ظفر الرجل بقاتل أخيه أو أبيه فألزمه القاضي أن يطلقه ويقبل منه الفداء وكان يجنس للشعراء خاصة قضاة ناقدون يفضنون بعضاً على بعض ورئيس هذه الطائفة من القضاة هو نابغة بني ذبيان.

وقد نتج من هذه الأسواق الثلاثة نتائج كبرى: الأولى - شعور العرب بمحاجتهم إلى السلم واتفاق الكثرة واجتماع الرأي واتلاف القلوب ولعنكم ترون ذلك ظاهراً في معلقة بن أبي سنن حين يدعوا عبساً وفزارة إلى الصلح.

الثانية - تهيؤ قلوبهم لقبول الوعظ والدين واستعداد نفوسهم لبحث النظري عما اشتمل عليه هذا العالم من نظام بديع ولعنكم تجدون ذلك جلياً في شعر زهير وخطب قيس بن مسعدة وأكثم بن صيفي وفي شعر لبيد بن ربيعة الذي قاله في الجاهلية.

الثالثة - تقارب اللغات المتباعدة واتلاف اللهجات المختلفة وتغلب لغة قريش على اللغات الأخرى.

وإذا كانت الحوادث في هذا العالم إنما تحدث متوالية متتابعة وينتج بعضها من بعض كان حقاً علينا أن ندع هذه النتائج الآن حتى نصل عندها في الوجود لنجني ثمرها بعد حين.

الشعر

في ذلك العصر التهيت جذوة الشعر واستطار شرره فالتهم كل شيء واحتكم في كل إنسان ولم تكن حكمة الإله ولا رأي الأع + ولا اعتماد إلا عليه وكان يكفي للشاعر

أن يمدح الوضيع فيرفعه أو يذم الرفيع فيضعه أو يغري بالحرب فتسهالك النفوس وتتفانى
القوى أو يدعوا إلى السلم فتصبح الضغائن والأحقاد نسباً منسياً.
اختلفت قبيلتان من قبائل العرب على إثر من الأبار حتى ذكت بينهما نار الحرب فلم
يكن إلا أن وقف شاعر أحدهما وقال:

كلا أخو بنا أن يرع يدع قومه ... ذوي جامل دثر وجيش عرمرم
فما الرشد في أن تشتروا بعمكم ... بئياً ولا أن تشربوا الماء بالدم
هنالك ردت النفوس إلى أعمادها والسهام إلى كنانها وأصبح القوم صديقاً متحابين
بعد أن كانوا عدواً متباغضين.

كان لعمر بن عدي كرب الزبيدي أخت يقال لها كبشة وكانت متزوجة في بني مازن
وكان لها أخ يقال له عبد الله فزار عبد الله أخته ذات يوم فبينما هو جالس مع بني
مازن يشارهم الخير وثبوا عليه فقتلوه ثم أفاقوا من سكرهم فاستشعروا الندم وذهبوا
إلى عمرو بالدية معتذرين فعفا عمرو وقال: إحدى يدي أصابني ولم ترد.
فلما بلغ الخبر كبشة صبرت إلى يوم عيد من أعيادهم ثم خرجت وقد شقت ثيابها
ولطختها بالدم وهي تقول:

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقنوا لهم دمي

ولا تقبوا منهم أنالاً وأبكراً ... وارتك في بيت بصعدة مظنم

ودع عنك عمرو إن عمر مسالم ... وهل بطن عمرو غير شير لمطعم

فلما سمع عمرو الأبيات ثارت في رأسه الحمية فغزا بني مازن وقتل منهم خلقاً كثيراً.
ولقد كان للشعر عند اليونان إله معروف هو أبولون وأما العرب فقد كان للشعر
عندهم شياطين لا تحصى وكان لكل شاعر منهم شيطان على الأقل وربما كان له أكثر

من ذلك ولم تذهب هذه الخرافة بظهور الإسلام بل بقيت بعده وأيدها عناء المسلمين في القرن الرابع للهجرة وقد حدث صاحب الأغاني في كتابه أن بشر بن مروان كان يحب الإفساد بين الشعراء فلما ولي العراق أمر سراقه البارقي أن يهجو جريراً ويفضل عليه الفرزدق فقال أبياتاً منها:

إن الفرزدق برزت أحسابه ... عفواً وغودر في الغبار جرير

فأمر بشر أن تكتب هذه البيات إلى جرير وأن يؤخذ بالإجابة عليها فلما وصنت الأبيات إلى جرير خلا إلى نفسه سواد الليل فلم يصنع شيئاً فلما كاد يأخذه اليأس سمع قائلاً يقول في زاوية من زوايا البيت ويحن يا جرير غبت عنك ليلة فلم تصنع شيئاً هلا قنت :

يا بشر حقاً لوجهك التشر ... هلا انتصرت لنا وأنت أمير

فقال له جرير حبك حبك ثم أمم القصيدة والآن أظنكم قد عرفتم مقدار ما كان لشعر في جاهلية العرب من مكانة مبنية ومثولة عالية ومن استئثار بالقلوب واقتدار على الألباب ولم تكن الخطابة بأقل منه وحكم أن تعلموا أن القبيلة كانت لا تشرف ولا يبنه ذكرها إلا إذا كان لها شاعر وخطيب. الباقي لآتي .

النهضة الفكرية في سورية

الإقبال على الآداب منظومها ومنشورها أول ما تتصرف إليه وجوه الأمم الآخذة بالنهوض ثم تنبعث الرغبة في الفنون والعلوم بحسب الحاجة والدواعي. وبعد أن اصنعت الآداب في سورية فنبت حداً غريباً من الابتدال في القرن الثاني عشر للهجرة وآتت أدبيات أهل الطبقة الراقية في ذلك العصر تافهة بشعة لا شأن لها ولا ذوق فيها عادت فأخذت تسير نحو الحياة في منتصف القرن الثالث عشر بما هب عليها

من نسات التجديد السارية من عقول المنورين المتأدين من السوريين والمصريين والتونسيين.

فنشأ للغة كتاب وشعراء من مصر والشام ومنهم أخذوا يعودون بمنظوماتهم ومنشوراتهم إلى سالف نضرة اللغة من الرصانة ويقندون أدباء الإفرنج في تصوراتهم. وكان لمصر في هذا الشأن يد طولى أسداها إلى الآداب العربية جد البيت الخديوي الأول فعمت المعارف في مصر ومنها انتشرت إلى سائر الأقطار. وإن كان بعض من يريدون أن يحصروا الفضل كند في سورية ولاسيما في المدارس الأجنبية يتكروون هذه الحقيقة التاريخية المدركة.

لا جدال في أن المدارس الأجنبية قد أحسنت على عهد نشأتها في بلاد الشام واحتت بحدمة الآداب العربية اهتمامها بخدمة آداب لغتها الأصلية وإن بذلك كثرت صلاتنا التجارية والعنيفة مع أوروبا وأميركا وصار الإفرنج يطوفون أو يكونون ديارنا وأميننا لا نفرع من نزول ديارهم أو الرحلة إليها.

وعلى هذه الصورة أخذنا ندرك اليوم بعد اليوم نقصنا بالقياس إلى الغربيين فيسعى المنورون منا إلى بث أنوار المعارف والفضيلة ويشعرون بالمصلحة العامة ويتوفرون على إصلاح الأفكار السقيمة.

النهضة الفكرية في سورية متنونة كأي براقش بتنون الأوعية التي تخرج منها فهضة المسلمين مثلاً آتية من مدارس الحكومة على الأغلب على يد أناس من العرب تعلموا التركية في المدارس الملكية والعسكرية في الولايات السورية أو في الآستانة وهؤلاء في الأكثر تعلموا ما تعلموا ليصبحوا موظفين وغايتهم أن يتدرجوا في سنك المراتب

والمناصب ليعيشوا عيش الراحة والالتكسل. ولولا نفر منهم تداركوا أمرهم بعد نيل الشهادات المؤذنة بكفاءتهم من المدارس الأميرية فأخذوا يحاولون أن يكتبوا بلغتهم ويندوقوا أدبياتها لينتوا على أمتهم بعض ما غلب عليهم من المعارف الجديدة لقننا أن تلك المدارس لم تأتنا بخير إلا بكونها صاغت من سورية موظفين آخرين فزادت الدولة بهم عبثاً فوق عبثها الثقيل من الأتراك الذين جعلوا وظائف الحكومة أقصى ما يبنغونه من درجات الكمال وسعادة الحال والمآل.

ثم أن طبقة الموظفين في جميع الأمم التي تسير على نظام الأوربيين لا يأتي في الغالب منها كبير أمر لأن الاستخدام مبني على الطاعة وارتقاء الموظفين مناط باعتزالهم وأحسن أعمالهم الخضوع لإرادة الرؤساء مهما كانت وهناك الارتقاء مضنون ولذلك قلنا أثر موظف في نهضة الأمة الفكرية خلا أفراداً في مصر عرفوا منذ زهاء سبعين سنة إلى اليوم كيف يستخدمون أوقاتهم وحريتهم ليجعلوا لكل من حكومتهم وأنفسهم وأمتهم حظاً وتكون أعمالهم سلسلة نافعة من كل وجه.

أما في سورية فإننا نجد من تذوقوا شيئاً من الأدب وحسوا أنفسهم على التوظيف لم يأتوا بما نفع في النهوض النهم إلا إذا كانوا يروون تلك الدواوين الشعرية والأماديح الثرية التي يرسلونها في تمجيد الحاكمين على اختلاف درجاتهم تعد من الآداب في شيء ولا يحضرنا الآن اسم بضعة من الموظفين ^{صح} أن نوردتهم مثلاً صحيحاً نحتاج به على من يوقن كل الإيقان أن الموظفين مهما بنفوا من التربية والتعليم فلا يرجى أن ينفع بهم إلا في الفروع التي تمحضوا لها من خدمة الحكومة.

وإذا كانت الشام واقفة عند حد الاعتماد على مدارس الحكومة والحكومة لا تعلم إلا ما ينفعها ومدارس الأجانب لا تعنى إلا بالعرض بما نفع البلاد بقيت النهضة الفكرية

مذبذبة لا تركية ولا عربية ولا إفريقية ولا أميركانية ولا إنكليزية ولا ألمانية ولا روسية ولا يونانية ولا إيطالية. كما أنها ليست إسلامية سنية ولا شيعية ولا باباوية كاثوليكية ولا مارونية ولا أرثوذكسية ولا برتستانية ولا إسرائيلية ولا درزية وبهذا صح أن نقول أن سورية بابل اللغات والنهجات كما هي بابل الأديان والمذاهب وإن النهضة في أصقاعها كأجوائها في التلون وأغوارها في الحرارة ونجادها في البرودة.

لم تنشأ في البلاد مدارس أهنية إلا في دمشق وبيروت وحمص وطرابلس وعيدا مثلاً منذ عهد قريب وهي لم تطل أعينها بعد حتى يتخرج منها تلاميذ يكون واحد منهم بألف في غنائه وكفاءته ويبد المتعنين في مدارس الأجانب ومدارس الحكومة معاً ويتنقن في مدرسته أن المقصود من العلم إنارة المتعلم نفسه وذويه ونفع قومه ولغته وأمته.

ومن يساعدون اليوم على ترقية الأفكار وإزالة غشاوة الأوهام بعض الصحف وفتة من ناشئة الشام تنقى العنوم المختلفة من مدارس الغرب ولا سيما في فرنسا وسويسرا وإنجلترا وألمانيا وأناس من وجوه البلاد أخذوا يغشون ديار الغرب للزيارة وهم على قتلهم يفيدون فيم يتصوره على قومهم من مشاهداتهم وإعجابهم بأوضاع المدينة الحديثة وقصور سورية بالنسبة إلى ذاك التقدم المدهش.

هذه العوامل الثلاثة في ارتقاء سورية وهي الصحف والمتعلمون في مدارس الغرب والسائحون في ديارهم إذا حسنت أكثر من الآن وقويت وكثر عديد الشاعرين بها تنهض بالبلاد ولا سيما مدن الداخلية كما أفادت هجرة اللبنانيين خاصة في تمدين لبنان فعد من سورية بمثابة باريز من ولاياتها أو القاهرة من بلاد أقاليم مصر ولذلك كانت الحركة الفكرية في لبنان وبيروت أرقى منها الآن في دمشق وحنبل إذ العلم فيها أكثر من هاتين القاعدتين وحركة لبنان وبيروت في الفكر مادية ولذلك قلنا ترى الرغبة

اليوم في مدارس بيروت والجليل منصرفة عن العلوم الأدبية والفنون بقدر انصرافها إلى إتقان اللغات الأجنبية ولا سيما الإنكليزية والإفرنسية يستخدمونها في التجارة ويتنحون بها للاستعانة على الهجرة إلى أميركا الشمالية وأستراليا وكندا وجنوبي أفريقية ومصر والسودان.

وبعد فإن حال النهضة غريب في هذا القطر فكما كان العبران في السهوب والوهاد في كور محدودة معروفة هكذا تجد النهضة الفكرية في انتشارها موزعة على المدن الآن وبعضها لا حظ لها منها إلا بقدر حظ الدساكر والقرى فترى اللادقية وعكا مثلاً بنهضة الفكرية دون حيفا ويافا مثلاً مع أن للسديتين الأولين تاريخاً مجيداً مهماً وتابلس وحماة متشابهتان وإن كانت الأولى تفوق الثانية بكثرة النامضين للتعليم من أبنائها وحصص تشبه طرابنيس والصنت تشبه بعينك ولكن هناك نحو مئة بلدة لا تقل نفوس الواحدة منها على بضعة ألوف من السكان وهي لا تخرج في موضوعها الفكري عن أحقر المزارع وذلك مثل دومة وجوبر وعربيل وداريا في غوطة دمشق وبيروود وجيروود ودير عطية والنبك في جبل سنير (قلنون) وحاصبيا وراشيا في وادي التيم والسويداء والرمثا ودرعا ونوى وبصرى في حوران وغيرها من أمهات القصبات في ولايات سورية وحنبل وبيروت ومنتصفيات لبنان والقدس والزور وهي جماع أقاليم بلاد الشام.

قننا أن نهضة سورية ذات ألوان كثيرة وذلك لاختلاف مصانع الأمم العربية في هذه الديار ولنسياسة والدين تأثير شديد في هذه الحركة ولولاهما ما رأينا تلك المدارس المبتوثة في القدس والناصرة وبيروت ولبنان ودمشق وحنبل ومرعش. بل في بعض القرى والقصبات. وبينما تجد الدولة تجدد ولاسيما في العهد الأخير بنشر لغتها وكادت

ولاية حنب تعد من الولايات التركية نجد الأرض المقدسة ولاسيما طبريا وحيفا ويافا والقدس توشك أن تعد ولاية إسرائيلية وذلك لكثرة المهاجرين في العشرين سنة الأخيرة من الإسرائيليين الروسين والنصارى والألمان وغيرهم ومنهم دعاة الصهيونية يريدون أن ينشئوا مع الزمن في فلسطين مملكة تكون سداها ولختها بيد أبناء إسرائيل من أجل هذا تراهم في مدارسهم لا يعلمون العربية ويجعلون اللغة العبرية لغة التعليم والتخاطب ولهم في فلسطين جرائدهم ومطبوعاتهم ينشرونها على منحهم بمئات من مراقبة الحكومة وتوفيق الخطة على ما يلاءم مصلحة البلاد ولذا تشهد في مدن فلسطين ولاسيما في القدس ويافا وحيفا غرائب الألسن فظنك في بور سعيد اليوم تشمع بضع لغات والبلاد عربية ولكن بالاسم فقط.

ومهما يكن من صيغة النهضة في قواعد البلاد ومدنها فإن أعمالها من بلاد الأقاليم كالقرى والديساكر لا تزال بعزل عن كل نهضة وحسبك أنك تمر إلى اليوم في بضع قرى ولا تجد من يستطيع أن يقرأ القراءة البسيطة فضلاً عن كتابة سطرين وهذا شأن الأقاليم التي لم تدخل إليها الإفرنج أو دعاة البرتانتية على القل مثل الصنت والكرك وتشقى المدارس لبث دعوتها كعظم ألوية حوران والكرك واللاذقية والزور.

نعم تسير الأيام الطويلة ولا تشهد المكان إلا كنا كانوا منذ بضعة قرون تحتاز تدمير وجرش وبلاد موآب وأرض الشراة والبنقاء وارض منبج وحوران والرقه وبلاد الجولان وارض الصفا واللجاة وغيرها فلا تكاد ترى مدرسة أهلية تذكر ماضي هذه الأقاليم فلا تلبث أن تهمل عبراتك على بلاد نام عليها رعائها وأقاليم كل منها بمساحه وخصبه وذكاء أهله ومضائهم لا يقل عن أحسن أقاليم قارتي أوربا وأميركا.

ربما توهم واهم أن الحرية العشوائية أبرزت من القوى ما كان كامناً في النفوس ولكننا لم نشهد من علائها شيئاً يستحق الذكر النهم إلا أولئك النفر من المتأدبين الذين جربوا أنفسهم في نشر الصحف واخلاّت وتألّف الأسفار والمترجمات يحاولون منها الرزق أولاً فحسر أكثرهم على أن معظم ما نشر في السنين الأربع الأخيرة من المصنفات والمقالات يدل على أن الأمة هنا لم تزل في دور التجارب وهيئات أن تعد في مصاف الأمة المصرية حتى بعد ربع قرن فالأسماء هنا أكثر من المسنيات وإن تكن الهمة عالية أكثر من مصر في الجنة ولكن أين نحن من نضوج العلم في وادي النيل وتلك الفئة الرشيدة من العلماء والكتاب والمفكرين والسياسيين والخطباء الواعظين.

يقولون أن الكليتين الأميركية واليسوعية في بيروت تخرجان رجالاً أكفاء فإين آثارهم نستدل بها على فضلهم ووطنيتهم وما نخالهم يستطيعون أن يأتونا بغير مقالات خيالية أو قصص غرامية مسلوخة أو مسوخة من اللغات الأجنبية. وكان في مقدرة أولئك المتعلمين على التواء في نظام تعليمهم أن يأتوا وهم متوفرون على أعمالهم المادية بشيء من المعارف لوطنهم يخدمونه بها ولكن القوم بلغت بهم الأثرة وحب الماديات حتى صاروا لا يتعلمون العلوم إلا إذا كانت تنفعهم لجلب الرزق وما عدا ذلك فليس له حظ من الأعراب في جنة حالهم.

وهذا من آكد الأسباب التي دعت فئة من المتعلمين ولاسيما في لبنان والساحل أن يعرضوا عن درس اللغة العربية ويستعصوا عنها بالانصراف إلى تعلم إحدى اللغات الأجنبية لأن هذه بزعمهم تعود عليهم بمجاع الفضائل والخامد والغنى وتلك لا تفيدهم في مادياتهم ولا في أدبياتهم ولكن فات هذا الفريق من المتعلمين إهم مهنتهم بنهوا من أحكام ملكة اللغات الأجنبية لا يتعدون فيها قدر الترجمان البسيط وإن من جميع من

اشتهروا بإتقان اللغة الإنكليزية أو الإفرنسية حتى الآن من أبناء سورية لا نعرف بضعة أشخاص يستحقون أن تنشر مکتوباتهم في مطابع الغرب إلا بعد أن ينظر فيها أبناء تلك اللغة وينقونها ويتعاونونها بالحذف والإثبات.

وبعد فإن النهضة الفكرية لا تكون عَنَى أتمها إلا بالتعليم وهذا التعليم مفقود من سورية النهم إلا علة مناحي الفرنسيس والأميركان وغيرهم ولذلك كانت النهضة السورية أشبه بمجنين لم تظهر سحته وتم خلقت. وما دام الفرنج من جهة والترك من أخرى يستحيل عَنَى بلاد الشام أن تدعي بأن فيها نهضة فكرية عربية ولا يفعل أكثر من يعنون إلا أنهم ينقنون أنفسهم إلى أبناء اللغة التي يتعلمونها وينسخون من قوميتهم.

وربما يقول بعضهم ما هذا الغلو في تقدير هذا الخطر المداهم والمتعنون أفراد والسواد الأعظم لا في العير ولا في النفر لم يبرحوا عَنَى الفطرة ويعننون ما سيكتب لهم فالجواب أن الأفراد هم العدة والفرد المتعلم اقدر عَنَى معرفة المدخل والمخرج من عشرة آلاف أمة ولو كانت كثرة العدد تنفع كل حين لما رأينا سكان الهند يخضعون للإنكليز وجزائر الملايو أو جاوة يخضعون لنهولانديين وغيرهم من الأمم الشرقية الضعيفة يخضعون لغيرهم من الأمم الغربية القوية. وعَنَى الجملة فإن نهضة سورية عَنَى غير ما تقتضي الحاجة الوطنية فهي لا شرقية ولا غربية بل هي من كل البندان وثمره كل الشعوب والناس قد شعروا بنقصهم ويسعون عَنَى تعليم أبنائهم في معظم الأقاليم والشعور بالنقص أول درجات الكمال كما أن ميل الناس إلى المشاركة في المسائل العمومية دعا إلى ترقية الخيط والتجاقي عن تافه الأحاديث فعسى أن تنو هذه الجرائم وتنتقل من دور الحضانة إلى دور الطفولة والفتوة في قليل من السنين.

اليمن وسكانها

(١)

كيف عرفها وعرفهم علماء العرب

مضى معظم السنة الماضية والدولة العلية تسير إلى اليمن الحنلة تنو الحنلة لإحضار المتقنين الثائرين من رجال الشيخ أحمد الإدريسي الشافعي في جهات عسير والإمام يحيى بن حميد الدين الزيدي في جهات صنعاء وقد أغمدت السيوف الآن بعد أن هلك من جيش الدولة وعصابات المخاربين لها ألوف ولا يزال يقتل في اليمن من العساكر العثمانية كل سنة نحو عشرة آلاف نسمة بعضهم في المناوشات والآخر باختلاف الأهوية وقتل الغذاء المناسب وذلك منذ أربعين سنة ومن قتل ومات من الجند والرعية لا يقل فيما نحسب عن رجال مئكة صفري من ممالك أوروبا كسويسرا أو الدانيمرك أو السويد.

والدولة الآن في صدد إعطاء بعض الامتيازات لليمنانيين وربما صدر هذا الجزء ومجنس النواب العثماني يتناقش في لائحة الإصلاحات اليمنية ويقسمون على الأغلب ما وقع تحت حكم الدولة مباشرة من البلاد إلى ثلاثة ولايات ولاية صعدة وولاية صنعاء وولاية عسير وقد جربت الدولة في السنة الماضية فسلخت لواء عسير فجعلته متصرفية قائمة برأسها تخاطب الأستانة مباشرة في أمورها كنواء القدس والزور فأتى ذلك بنتائج حسنة ولا عجب إذا أكثرت الدولة من مراكز الحكومات فمن الأقضية هناك ما تسير فيها أياماً وفيه من القرى ما لا تجد مثله في ولاية من الولايات العامرة في الدولة وإن عدد القرى الداخنة تحت حكم العثمانيين مباشرة يبلغ ٨٦٩٢ قرية و٢٨٩ عزلة و٢٢٧ قبيلة وكل هذا القدر العظيم المنقول عن تقويم الدولة الرسمي يحكمه ٢٨ قضاء

و ٥٦ ناحية ومن الغريب أن الأمية تكاد تكون مفقودة في اليمن بالنسبة لساكني البلاد العثمانية وأهلها مع كل ما ابتلوا به من الفتن التي جرّتها عليهم تلاعب رؤسائهم ورداءة العمال ولا يزالون يعنون أبناءهم القراءة والكتابة ويقلدون اليوم نفوس اليمن بنحو خمسة ملايين لو ارتقوا وعلموا لأني منهم أعظم جيش محارب محضر نافع. وإليك الآن كيف عرفهم وعرف بلادهم عناء العرب اقراءه وأعجب في سر ما صارت إليه أرضهم من الانحطاط .

صفة اليمن

قال الهذلي سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها والبحر بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط واحد من حدود عمان ويبرئ إلى حد ما بين اليمن واليهامة إلى حدود الهجيرة وتشليث وآثار جرش وكنتة منحدرًا في السراة عني شعف عتر إلى قهامة عني أم جحدم إلى البحر حذاء جبل يقال كدمل بالقرب من حمضة وذلك حد ما بين بلد كنانة واليمن من بطن قهامة. وأول إحاطة البحر باليمن من ناحية دما فطنوى فالجحمة فرأس القرنك فأطراف جبال اليمد وما مقط منها إلى ناحية الشحر فالشحر فغب الخيس فغب الغيث بطن من مهرة فغب القصر زنة قصر السماء فغب العقار بطن من مهرة فالخيرج والإسعاء وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عمان وعدن ريسوت وهو موئل كالقنعة بل قنعة مبنية بنياناً عني جبل والبحر محيط بها الأمان جانب واحد فالبر فمن أراد عدن فطريقه عندها فإن أراد أن يدخل دخل وإن أراد أن جاز الطريق ولم ينو عليها وبني الطريق الذي يفرق إليها والطريق المسنوك إلى عمان مقدار ميل. ثم ينعطف البحر عني اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر بساحل الحج وأبين وكثيب يرامس وهو

رباط وسواحل بني محيد من المندب فساحل العنيرة والعارة فإلى غلافة ساحل زبيد فكيران فعطيفة فالحرادة إلى منفهق جابر وهو رأس غرير كثير الرياح حديدتها إلى الشرجة ساحل بند حكم فباحة جازان إلى عشر فرأس عثر وهو كثير الموج إلى ساحل حصنة فهذا ما يحيط باليمن من البحر.

وأصرح من هذا ما قاله المسعودي: وبند اليمن طويل عريض حده ما يلي مكة الموضع المعروف بنجدة الملك سبع مراحل إلى صنعاء ومن صنعاء إلى عنان وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل والمرحنة من خمس فراسخ إلى ستة والحد الثاني من حكم ورحاء إلى ما بين مغاوز وحضر موت وعنان عشرون مرحنة ويأتي الوجه الثالث بحر اليمن فجميع ذلك عشرون مرحنة في ستة عشرة مرحنة وأسماء منوك اليمن كذي بزن وذو نواس وذو منار وغير ذلك مضافة إلى مواضع وإلى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم.

فاليمن كما قال ابن خلدون صقع جليل ومثمكة عظيمة يشتمل على أربعة وعشرين مخالفاً (وفي رواية أربعة وثمانون على ما يجيء) والمخاليف الكور وكان اليمن في صدر الإسلام على ثلاثة أقسام كل قسم منها في يد ملك أحد الأقسام قصته صنعاء والآخر قصته الجند والآخر قصته ظفار والذي يعطيه التحديد أنه ينقسم على قسمين أحدهما قهامية والأخرى تجدية فالتهامية قصتها زبيد وبها يكون السلطان والجند وهي مدينة مسورة وعندها سبعة خنادق ولها نهر يجري إليها من الجبال وساحل يسمى غلافقة ومن البلاد التهامية قحمة ولها نهر يأتيها من جبل يسمى فرع والكندرا ولها واد يجري إليها من السيول والمهجم وهي مدينة كثيرة الفواكه ولاسيما الموز ولها نهر يأتيها من الثوب يسمى سرود والنجال ولها نهر يأتيها من جبال حور وحوض ولها نهر يأتيها بلاد دخولان

والراحة ولها نهر يأتيها من نجد وأما البلاد النجدية وتسمى بلاد الجبال والنجد في اللغة قفار الأرض وما غلظ منها واشرف على الأرض فأعلاها قحاة واليمن وأسفلها العراق والشام وهو متحد من بلاد مهرة على بلاد الحجاز ومسافة ذلك عشرون فرسخاً وقصته عدن وتعرف بعدن ، وبقتها على البحر يدخل إليها من باب قد فتح في جبل كأنما يدخل إلى الكرك بالشام وهي فرضة لما يرد من كراكب الصين والهند وكرمان وفارس وعنان ويشرب منها مدينة أبين ولها على ساحل البحر فرضة تسمى الخل يقول الناس منه في اختصاص ولها كورة تشتمل على عدة قرى ومن بلاد ومن بلاد الجبل صنعاء وكانت القصة لبلاد اليمن بأسرها وهي وية كثيرة الفواكه ولها نهر يخفقها يسمى المرار ويصب في منوان فيكون منه بحيرة تحده الأمطار في الصيف.

وحكي أن ظفار مدينة التابعة ومن بلاد الجبل تعز وهي قلعة حصينة وبها السلطان في عصرنا (ابن خلدون) وهي بين مدينتين إحداها المعزية والأخرى عدنة يقول إليها واد من جبل صبر وهذا الجبل فيه قرى كثيرة قصبتها مدينة تسمى لاعة المرتقى إليه مسيرة يوم وصوله أربعة وعشرون فرسخاً ومدينة الجند مشهورة ومدينة جبلة وتسمى مدينة الهرين لأنها بين هرين ومدينة الدحنوة وهي قلعة على ذرى شامخ وعز وقد امتلأت من أموال منوك يمن وكبرائها تيراً ولجناً يجمع المال بها والمدينة كالربض وتسمى أيضاً الجرد ومن حصون السلطان أيضاً باليمن أيضاً قلعة أنور وهي في ناحية تسمى وادي السيول يشتمل على قرى مشبكة العنابر وقلعة مثوة وهي في ناحية زبيد كثيرة القرى وقلعة العروسين وهي في ناحية تعرف بعنوان الكردي كثيرة القرى ومن بلاد اليمن ذمار وهي مدينة مسورة لها عيون وبساتين ومدينة صعدة وخيران بها خانات وحمامات وأماكن وعنابر ومدينة مأرب بها عرش بنقيس وهي أساطين في غاية الغلظ والارتفاع

ر لها كورة بين صنعاء وحضر موت وبالقرب منها جبل شق عليه سد تجتمع إليه مياه
الأمطار والديون وإذا أرادوا سقي القرى فتحوا منه بقدر حاجتهم ثم يسدونه بآلات
لهم أحكموا ومن بلاد الجبل أيضاً السروان أحدهما سرو جبل لبن والآخر سرو ميل
وهما مختلطان ولهما قصور كالقرى وأسماءها العبر والبيضاء وقرن وذوقيام ودوتق
وهذان السروان يمتدان من جنوب اليمن إلى شمال الحجاز وسكانها فصحاء العرب.
ومن أقسام اليمن حضر موت وفيها تريم وشبام والشحر والأحقاف ومنها بلاد مهرة
وغيرها.

قال البلخي وكان أعنال اليمن مقسومة على ثلاث ولاء وال على الحرم ومخاليقها
ووال على حضر موت ومخاليقها وهي أوسطها وأطيب بلادها وأبرد ما وأكثر ما ارتفع
من أموالها ما جباه بعض أعنال بني العباس ستين ألف دينار وأنها قوم فيهم جهل
وغباوة وسلامة صدر وضعف حائل وأكثر فواكههم الموز وعامة لحومهم لحم البقر وفي
مشارك سواحلهم صحار ومسقط وسوقطرا وشحر محذب ومن عندهم النبان والصبر
وهم ضعاف الحال سينو العيش قليلو الحيل والصناعات ولهم لغة لا يفهمها غيرهم
وتنهم الإحساء وهي من أرض العرب وقد استوطنها القرامطة في القرن الثالث.

واليمن على رواية المقدسي قسمان ما كان نحو البحر فهو غور واسمه قمامة قصبتة زبيد
ومن مدنه معقر كدرة ومور عطنة الشرجة دؤيمة الحضة غلافقة مخا كمران الحردة
السعة شرمة العشرة رنقة الخصوف الساعد المهجم وغير من ناحية أبين مدنها عدن هج
(الحج) وناحية عثر مدنها حلي السرين وناحيته السروات وأما ما كان من ناحية الجبال
فهو بلاد باردة تسمى نجداً قصبتها صنعاء ومن مدنها صعدة نجران جرش العرف جيلان
الجند ذمار نسقان يحصب السحول المذخرة.

فزيد قصة قمامة وهو أحد المصريين لأنه مستقر منوك اليمن بند جنيل حسن البیان
يسكنونه بغداد اليمن لهم اذني ظرف وبه تجار وكبار وعلماء وأدباء مفيد لمن دخله
مبارك عني من مكته آبارهم حنوة وحماماتهم نظيفة عليه حصن من الطين بأربعة أبواب
وحولها قرى ومزارع أعبر من مكة واكبر وارفق وأكثر بنيانهم الآجر ومنازلهم فيحة
طيبة وهو بند نفيس ليس باليمن مثله غير أن أسواقه ضيقة والأسعار بها غالية والشمار
قليلة. ومعقر عني جادة عدن وكذلك عبرة وعارة والمخنف وكلهن صغار وعدن بند
جنيل عامر أهل حصين خفيف دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب معدن
التجارات كثير القصر مبارك عني من دخله مثر لمن مكته مساجد حسان ومعايش
واسعة وأخلاق طاهرة ونعم ظاهرة قد أحاط به جبل بما يدور إلى البحر ودار خلف
الجبل لسان من البحر فلا يدخل إليه إلا أن يخاض ذلك النسان فيصل إلى الجبل وقد
شق فيه طريق في الصخر عجيب وعنه باب حديد من نحو البحر حائطاً من الجبل إلى
الجبل وفيه خمسة أبواب ناء عن الأسواق إلا أنها يابسة عابسة لا زرع ولا ضرع ولا
شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلاء كثيرة الحريق والوكف.

أبين هي أقدم من عدن وإليها تنسب عدن لأن برّهم وفواكههم وخضرهم منها لكثرة
القرى والمزارع بها وكذلك لهج ومندم عني البحر عامرة. ومُخا مدينة لزبيد عامرة
كثيرة المنيط وغلافقة فرضة زبيد عامرة آهنة بها نخيل ونارجيل وآبار حنوة إلا أنها
وبية قاتنة للغرباء. والشرجة والحردة وعطنة مدن عني الساحل بمن خزائن الذرة تحمل
إلى عدن. وجدة بند النبن يحمل إليهم الماء من بعد وجوامعهم عني الساحل وناحية عثر
ناحية جنينة عليها سلطان برأسه ومدنها نفيسة وعثر مدينة كبيرة طيبة مذكورة أنها

قصة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة بها سوق حسن وجامع عامر يحمل إليهم الماء من بعد وحماتهم وضر.

وبيش أطيب هواء منها وأعذب ماءً بها يتزل السلطان. والجريب بند الموز وهو أرخي مدن الناحية وأعجبها. وحلي مدينة ساحلية عامرة سرية رفيعة. والسرين بند صغير له حصن. مصنعة وهو فرضة السروات والسروات معدن الحبوب والخيرات. صنعاء هي قصة نجد اليمن وقد كانت أجل من زبيد وأعمر وكان الاسم لها وأما اليوم فقد اختلت غير أن بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيئة وعقلاً. ثم بند رحب كثير الفواكه رخيص الأسعار. أخباز حسنة وتجارات مفيدة أكبر من زبيد ولا تسئل عن طيب الهواء فإنه عجب ومع ذلك رفق معف. وصعدة أصغر من صنعاء عامرة في الجبال بها تصنع الركاء الجيدة والأنطاع الحسنة ومنه يرتفع ادم الجند وهي مدينة العنوية وعملهم. وجرش مدينة وسطة ذات نخل واليمن ليس ببند النخيل ونجران مثل جرش وهما دون صعدة وأكثر ما ترى من الإدم فمن هذه المدن. والخنيري هو بند قحطان بن زبيد وصنعاء كثير القرى وسبأ بند خلف هذه النواحي عامر المدينة خرب العنل.

هذا وصف بلاد اليمن وفي رواية أن مساحتها الطحينة ٢٥٦ ألف كينومتر مربع أما المسافات على تقادير العرب فهي من صنعاء إلى صدداء ٤٢ فرسخاً من صنعاء إلى حاضن موت ٧٤ فرسخاً ومن صنعاء إلى ذمار ١٦ فرسخاً ثم إلى نسفان وكحلان مرحلة ثم إلى حجر وبدر ٢٠ فرسخاً ثم إلى عدن ٦٤ فرسخاً ومن ذمار إلى محصب مرحلة ثم إلى السحول مرحلة ثم إلى النجدة مثلها ثم إلى الجند مثلها ومن صنعاء إلى الجند ٤٨ فرسخاً ومن صنعاء إلى العرف مرحلة ثم إلى الهان ١٠ فراسخ ثم إلى جبلان ١٤ ثم إلى زبيد

١٢ ومن صنعاء إلى شبام مرحلة ومن صنعاء إلى عثر ١٠ مراحل ومن عدن إلى أبين ٣ فراسخ.

مخالف اليمن

كور بلاد اليمن تسمى مخالف وهي أربعة وثمانون في رواية وفي رواية أربعة وعشرون قال ابن خردادبة مخالف صنعاء والخب ورحابة ومرمل وبصنعاء كان غندان مسكن سيف بن ذي يزن الحميري وفيه يقول أمية بن أبي الصلت النقي:

اشرب هنيئاً عينك التاج مرتفعاً ... في رأس غندان داراً منك محلاً

ومخلاف صعدة فمن صنعاء إلى خيوان أربعة وعشرون فرسخاً ومن خيوان إلى صعدة ستي عشر فرسخاً ومن صعدة إلى المهجرة وهي تحت عقبة المنصع عند طنحة المنك التي هي أول عمل اليمن عشرون فرسخاً فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخاً. ومخلاف البون وفيه ريدة وبها البئر المعطنة والقصر المشيد التي ذكر الله تبارك وتعالى ومخلاف خيوان ومخلاف نجدي خولان ذي شحم وغوريها وفيها ريام النار التي كان يعبدونها أهل اليمن. وعلى اليمن من صنعاء مخالف شاكر ووداعة ويام وأرحب ومخلاف الحردة وهمدان ومخلاف جوف همدان ومخلاف جوف مراد ومخلاف شنوءة وصدى وجعفي ومخلاف الجسرة ومخلاف المشرق وبوشان وغدر وفيه ناعط ومخلاف أعلا وأنعم والمصنعين وبني غطيف وقرية مأرب قال النابغة الجعدي :

أو سباً الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دونه سيده العرما

ومأرب قصر سليمان والقشيب وقصر بنقيس قال ابن ذي جدن :

أتغر من أهله القشيب ... وبان من رأيه الحبيب

وصرواح والسد وهو العرم.

ومن صنعاء إلى صدى وجعفي وشنوبرة اثنان وأربعون فرسخاً ومخلاف حضر موت
وبينها وبين البحر رمال ومن صدى إليها ثلثون فرسخاً فمن صنعاء إلى حضر موت
اثنان وسبعون فرسخاً. ومخلاف خولان رداً وفيه وادي النمل ومخلاف أحور ومخلاف
الحقل وذمار غلى ستة عشر فرسخاً من صنعاء ومخلاف بني عامر وثات ورداء
ومخلاف دثينة ومخلاف السرو وبحدائه مرمى الخبرج ومخلاف عس ومخلاف رعين
ونسفان وكحلان وفيه بحيرة بينون قتل امرؤ القيس بن حجر:

ودر بني سواسة في رعين ... يحن غلى جوانبه الرجال

ومخلاف صنكان وذبحان ومخلاف نافع ومصحي ومخلاف حجر وبدر وأخنة والصهيب
ومخلاف لحج ومخلاف أبين وفيه عدن ومخلاف بعدان وريمان ور الشجة والمزرع ومخلاف
ذي مكارب والأملون.

ومن صنعاء إلى ذمار ستة عشر فرسخاً ومن ذمار إلى NSFان وكحلان ثمانية فراسخ
ومن NSFان إلى حجر وبدر عشرون فرسخاً ومن حجر وبدر إلى قرية عدن وهي
مخلاف أبين أربعة وعشرون فرسخاً فمن صنعاء إلى عدن ثمانية وستون فرسخاً.
ومخلاف السلف والأدم ومخلاف نجلان ومخلاف الجند ومخلاف السكائن ويحصب
مدينة ظفار وقصرها ريدان قال امرؤ القيس

تلكس قاتماً وبني طمراً ... غلى ريدان أعيط لا يتال

وبظفار كانت تزل منوك اليمن ومن علو يحصب إلى السحول ثمانية فراسخ ومن
السحول إلى الشجة ثمانية فراسخ ومن الشجة إلى الجند ثمانية فراسخ فمن صنعاء إلى
الجند ثمانية وأربعون فرسخاً. وذات الشمال راجعاً إلى صنعاء مخلاف ذي شعيب
ومخلاف الزبيدي ومخلاف المعافر ومخلاف بني محيد وفيه البقراي الجيد ومخلاف الكرب

ومخلاف صلب ونفد والإيغار ومخلاف المناخين وفيه المذخرة قنعة حصنة يسكنها آل
 ذي مناخ وفيها منزل ابن أبي جعفر المناخي من حمير ومخلاف حمل ودمث وشرعب
 ومخلاف عنة

وعنابة ورجيع ومخلاف السحول وبني صعب ومخلاف حاطة ومخلاف مفل يحصب
 ومخلاف عنو يحصب ومخلاف القفاعة والوزيرة والحجر ومخلاف زبيد وبغزائه ساحل
 غلافقة وساحل المندب ومخلاف رقع ومخلاف مقري ومخلاف ألمان ومخلاف جيلان وفيه
 الجبلان من آل ذي شرح وجبلان ضقان شق الطاعة وشق المعصية ومخلاف ذي جرة
 ومخلاف الحقلين ومخلاف العرف والأخروت.

فمن صنعاء إلى العرف ثمانية فراسخ ومن العرف إلى ألمان عشرة فراسخ ومن ألمان إلى
 جبلان أربعة عشر فرسخاً فمن صنعاء إلى جبلان اثنان وثلاثون فرسخاً ومن جبلان إلى
 زبيد ورمع اثنا عشر فرسخاً.

ومخلاف خولان في ظاهر صنعاء ومخلاف جدد وحوشب ومخلاف عنك بمخداته مرسى
 دهنك ومخلاف مهاع ومخلاف حراز وموزن ومخلاف الأخرج ومنجج ومخلاف حضور
 ومخلاف مأذن وحمالان وفيه مدينة ضير ومخلاف شاكر وشبام وبيت أقيان والمصانع
 يسكنها آل ذي حوال وهم ولد ذي مقار ومنهم يعفر بن عبد الرحمن بن كريب
 الحوالي قال امرؤ القيس :

والحق بيت أقيان وحجر ... ولم ينفعهم عدد ومال

وقال أيضاً:

أزال من المصانع ذا أراس ... وقد منك السهولة والجبال

ومخلاف واضع والمعلل وهو بين صنعاء وشبام ومن صنعاء إلى شبام ثمانية فراسخ قال الشاعر:

ما زال ذا الرمن الحبيث يدبرني ... حتى بقي لي خزيمة بشبام

ومخلاف الصغر ومخلاف خناش ومنحان ور حكم وجازان ومرس والشرجة ومخلاف حجور والمغرب ور قدم وهو يحاذي قرية مهجرة ومخلاف حية والكودن ومخلاف مسح ومخلاف كندة والسكون وهي حضر موت على الإبل تسع مكث.

مدن اليمن قهامية ونجدية عدن كنا قال الهمداني جنوبي قهامية وهي أقدم أسواق العرب وهي ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزُبر الحديد وصار لها طريقاً إلى البر ودرباً سكيناً المربون والحناحيون والملاحيون. ولحج وأبين وبها مدينة خنفر والرواغ وموزع والشقاق والمندب والحصيب وهي قرية زبيد وقرى بواديهما حيس والقحمة والكدراء ثم المهجم وهي مدينة سرود ومور وبه مدينة تسمى بنحة ثم الساعد والسقيقتان والمجر قرية ضد وجازان وفي بند حكم قرى كثيرة يقال لها المخازف وصيا ثم يش وساحنه عثر وهو سوق عظيم شأنها وقد تثقنه العرب فيقولون عثر وأم جحدم قرية بين كنانة والأزد وهي حد اليمن.

وأول مدن اليمن على سمت نجدها الجند من أرض السكاسك وجبا مدينة المعافر وجيشان وبالقرب منها قرى لها بواد تسب إليها مثل حجر وبدر والصهيب ثم مكث مدينة السخطين ثم ذمار ورداع وهي بين نجد حمير الذي عليه مصانع رعين وبين نجد مدحج الذي عليه ردمان وقزن وفي جنوبها مدينة حصي وبثرى والحق من أرض السرو ثم مدينة صنعاء وهي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها ما بينها وبين عدن كنا بينها وبين حد اليمن من أرض نجد وحجاز وكان اسمها في الجاهلية أزال ويسمى بها

أهل الشام صنعاء القصبة وتقول العرب لا بد من صنعاء لو طال السفر وينسب إلى صنعاء صنعاني وعُلى كل واد من هذه الأودية ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والأبيات وكل واد منها بخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده.

قال الأصمعي اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان فيقطع من بينونة وبينونة بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن قال ياقوت وقيل حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضر موت والشحر وعلان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهام والنجود واليمن تجمع ذلك كله.

والمب في قسمة اليمن إلى مخاليف أي كور ورسايق ما قاله ياقوت من أن وند قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسمهم المقام في موضع واحد فجنعوا رأيهم على أن يسروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعرونه ويسكنونه وكانوا إذا ساروا إلى ناحية اختارها بعضهم تختلف بها عن سائر القبائل وسموها باسم أبي تلك القبيلة المتخلفة فيه فسموها بخلافاً لتختلف بعضهم عن بعض فيها ألا تراهم سورها بخلاف زبيد ومخلاف سنحان ومخلاف همدان لا بد من إضافته إلى قبيلة.

بعض معاهد بيروت

الصحافة البيروتية

سبقت بيروت غيرها من مدمن الشام بإصدار الجرائد ففيها صدرت سنة ١٨٥٨م أول صحيفة عربية في هذه الديار باسم حديقة الأخبار ثم صدرت جرائد ومجلات أخرى على عهد السلطان عبد العزيز وأوائل عهد السلطان عبد الحميد المخلوع ومنه ما كتبه الأكفاء أمثال البستاني والأحدب وبوست وصروف وثمر واليازجي والخوراني

وغيرهم. ولما قويت شأفة المراقبة على المطبوعات ولاسيما في الثلث الأخير من عهد المخلوع تراجعت الصحافة البيروتية وكان بعضها قد أقفل وبعضها نقل إلى قطر آخر وبعضها ثبت ولكن على مضدد وضعف لا يكاد يوصف.

حتى إذا انتشرت الحرية كثرت الصحافة حتى بلغ ما صدر منها مجلداً ٥٦ جريدة ومجلة أكثر من نصفها لم يزل ينشر وبها بلغ عدد الجرائد البيروتية ٢٥ جريدة ومنها ثلثي ويومية والباقيات أسبوعية ونصف أسبوعيات وبلغ عدد الجلات ١٢ مجلة حية وهو عدد كثير على سكان مدينة لا يتجاوزون المئة وخمسين ألفاً على حين لا يصدر في جميع بلاد الشام وبيروت في المجلة أكثر من مئة صحيفة بين يومية وأسبوعية ومجلة شهرية ونصف شهرية أو مرة في الشهرين على اختلاف الترعات ومنها الجدي الخباري ومنها الفكاهي المزلي.

إن هذه المهنة التي تبدت مظاهرها من أدباء بيروت ولبنان حرية بالثناء لو لاحظوا في نشر صحفهم حاجة البلاد أولاً ثم نظروا في أنفسهم وحكموا عليها أو لها من حيث الكفاءة والاستعداد بيد أنه لم تقص بضعة أشهر على نشر القانون الأساسي وقد بردت حماسة القوم للحرية وانتشأت صورة الغضب من أنصار الظلم والاستبداد حتى أذخ الزمان يحص الصحف فيشعر بعض من قبحوا عليها على غير استعداد مادي وأدبي أنهم كانوا في غرور بأفكارهم على بث أفكارهم على رؤوس الأشرار واقتحامهم المنافسة مع الأكفاء بحث أضروا بهم وبأنفسهم معاً وستدعو الحاجة بعد إلى تراجع بعض هذه الصحف فيبقى منها الأفضل بحسب سنة الكون في الأعمال.

نقول الحاجة لأن قراء الصحف في سورية محدود عددهم وقد أصبحوا يجهون ليشتروا

حتى اضطر كثير من أرباب المظاهر أن يتناولوا عَنَى الرغم منهم عدة صحف في آن واحد ومعظمها متحد الرعة والمعنى تكفي منها الواحدة والشتان وما زاد عن ذلك فضول وإضاعة وقت. ووطد معظم المشتركين أنفسهم عَنَى قطع اشتراكهم السنة بعد الأخرى فكان الوارد عَنَى إرادات الصحف لا يسد نفقات الطبع ويعول القاسين بها في الجسنة فاضطرت إلى الاقتصاد غير الخمود حتى أصبحت لفترة في أجرة المترجم والمراسل وأثمان البرقيات وغيرها قصارى أكثرها أن تجيد النقل والاقتباس وتنفق مما حضر لديها من الأخبار أفاد القراء أو لم يقدمهم خدم البلاد أو أضربها.

إن صدور ثنائي صحف يومية في ثغر صغير كبيروت دليل الإقدام وهذا العدد لا يصدر مثله من بلاد العرب إلا في مدينة القاهرة ولكن أين مكانة تلك العاصمة من بيروت وهل في مكانة بيروت أن يكون لها قراء كالمصريين استنارة عقولهم وكثرة غنائم وتشاجر الأغراض السياسية في بلادهم. ولولا أن معظم الجرائد الكبرى في نصر أصبحت تصدرها شركات وجمعيات كنا هي الحال في الغرب لما عاش أكثرها ولما استطاع القسم الآخر أن يظهر بهذا المظهر من القوة والغناء.

ومن أجل هذا فكر بعض أرباب الصحف اليومية هنا أن يتحدوا ويصدروا جريدة واحدة كبرى عَنَى مثال الصحف الرسمية الراقية وفيها ما في تلك من إمارات التحسين والفائدة ولو وفقوا لإتمام هذا المشروع الجليل ونجحوا فيه لخدموا البلاد خدمة تؤثر ووفروا من عنائهم وعناء القراء الفقراء وزاد مع الأيام ربحهم واثبتوا لأهل الشام أن بعض قادة الأفكار من دعاة الاتحاد والوئام عندوا الناس بالمثل الحي أن صحافتهم ثرت عَنَى أقدام صحافة الغرب وأن ما يعجز الأفراد عَنَى الاضطلاع به لم يعجز الجماعة.

ومنى تمت هذه المهمة في الصحف السياسية يسهل تنفيذها في الجلات العنية فتدخل مطبوعاتنا في دور جديد يصح أن ينحق بالراقي من مطبوعات الأوربيين والأميركيين. إن بيروت التي اعتادت أن تصرف جرائدها في أقطار الشام لا تثبت إذا كانت لها صحافة راقية أن يقبل الناس عليها في جميع بلاد القطر وإلا فتظل كل ولاية بل كل لواء بل كل قضاء مكتفية بصحفتها كذا هو المشهد الآن في القدس ويافا وحيفا وعيدا وبعيدا وعالية وحزين وطرابلس واللاذقية وحنبل وحماة وحمص ومرج عيون والقيطيرة وزحانة ودمشق فتكاد لا تبع فيها الصحف الراقية إلا أعداداً معينة سيتناقص عددها مع الزمن وصدور الأحسن فالأحسن.

ولا مشاحة في أن الصحافة مثال من أمثلة ارتقاء الأمة والمخطاطها وإن صحافتنا يجب أن تقود إليها الناس بالحق والصدق لا أن تنقاد إلى أهواء الناس والعامه منهم الخاصة فإن بعض الصحف جارت العامة مثلاً على ما يريدون في نقل أخبار هذه الحرب الناشبة الآن في طرابلس الغرب بين العثمانيين والإيطاليين فراجت بعض الشيء ولكن هذه المهمة لا تدل على ارتقاء في العقول ولا على إقبال حقيقي وكان أولى أن تنقل لنقوم الأنباء بدون زيادة ولا نقص مع مراعاة السياسة المتبعة من تقوية القنوب والتفاؤل بالخير للمستقبل فإن من أبشع المظاهر أن يستع العامة الخاصة وما طرأ الفساد على أحوالنا الدينية والدنيوية إلا خسارة الخواص لنعوام في أمور كثيرة.

وأي ارتقاء الآن والأمة نراها تقبل على الصحف الهزلية أكثر من إقبالها على الصحف الجدية وإن كان من جرائد الهزل ما هو مستوى النفس وأحماض القلب ولكن كثرة الإقبال عليها أكبر دليل على أن الأمة أميل إلى الخيال منها إلى الحقائق وأنها أمة كسل لا أمة عمل.

هذا والجرائد بيوت الفضل الأكبر في بث منكة المطالعة في الناس وتعويدهم الفصح من الكلام والصحيح من الآراء ولذلك تجد مجموع البيروتين أرقى من مجمع غيرهم من سكان قواعد هذه الديار لكثرة توفر عامتهم وخاصتهم على مطالعة الجرائد والانتفاع بما تنشره من طريف المعارف والمبادئ والتكرار يؤثر في الأحجار وربك يفعل ما يشاء ويختار.

مدرستان إسلاميتان

إذا كانت بيروت تعد أكبر معاهدها العلمية المسيحية كلية الأمير كان وكلية اليسوعيين فإن من الواجب أن تعد أكبر المدارس الإسلامية فيها الكلية العشانية الإسلامية ودار العلوم والميزة بين المعهدين الأولين والمعهدين الآخرين أن الغرض في الأولين خدمة فكر خاص أقل ما يقال فيه تزويد نفوس أكثر المتخرجين منها في خدمة بلادهم وإضعاف الشعور الوطني أما الحالة في المدرستين التاجحتين فهي على خلاف ذلك تنسي العاطفة الوطنية وتحيي رجلاً يقون في بلادهم يخدمونها بما تصل إليهم طاقتهم. وهذا من أعظم ما تمجد عليه المدرستان الإسلاميتان.

نشأت الكلية العشانية منذ سبع عشرة سنة هبة رجل أزهرى لقي الأمرين في سبيل مشروعه وقاومه أعداء الإصلاح والتجديد وأنصار المنافسة والحسد ما وسعتهم المقاومة فكان بثباته معلماً للضعفين كيف يكون الصبر غنى ما أخذوا النفس به. ولا عجب فصبر المعنيين يجب أن يتعنوه من سيرة الأنبياء والمرسلين خصوصاً والمعنون لا يخرجون عن كونهم مبشرين ومنذرين ولكن يوحى غيرهم وسيرة من تبعوهم من الحكماء والأنبياء.

هذا الأزهرى هو الشيخ هو الشيخ أحمد عباس أحد أساتذة بيروت ورئيس هذا المعهد النافع قام بقوته إلا ما كان من معاضدة بعض المستيرين في هذا الثغر لعنده وخصوصاً من تألفت منهم عمدة المدرسة مؤخراً من رجال بيروت وبعض قادة الأفكار فيها فوق حتى اليوم إلى تخريج زمرة من الشبان الثورين ومنهم التاجر والصحافي والطبيب والحقوقي وقد كان في كل دوار مدرسته يستعين بالأساتذة الأكفاء من أي مذهب كانوا يعلم تلامذته. بذلك التسامح اخنود والأخذ عن المخالف فيما لا يخدم رأيه ومبدأه.

زرنا مدرسته وقد زرتها عدة مرات في الأعوام الماضية فشهدنا النضوج آخذاً بتعاليمها والكمال قريباً منها والثبات متمثلاً في أركانها والعناية بتربية جسم الطفل وعقله غابتها فهي في أجمل بقعة وأعلاها من أحياء بيروت (برج أبو حيدر) تطل على لبنان وقراه وبيروت وحدائقها الغناء لو تم لها ما يريد لها أحبها أن تمتدك البنايات التي قامت فيها وأوى إليها أساتذتها لكانت كاملة في مادياتها كنا كنت أو كادت بمعنوياتها.

نعم لو كانت لها دار قوراء وقصور تؤوي الداخلين والخارجين من تلامذتها لبلغ تلاميذها ضعف ما هم الآن (٣٧٠) منهم (١٤٠) داخياً من أبناء بيروت وأنحاء سورية وغيرهم ولكن المسنين ليسوا من القوة على الأعمال بحيث يهتسون لمشروعاتهم العناية اهتمام الغربيين لها وليس الفقر وحده هو الذي يقعد بهم عن مجازاة الأمم الحية وإلا فإننا نرى أضعف منهم بما لا يقاس يهتسون لمثل هذه الأمور أكثر منهم على أن كثيراً في رجاله فخصتنا يودون على الأقل لو سكت عنهم قومهم وخصوا من أعمالهم لا عليهم ولا لهم لا تشيط ولا تشيط وهذا سر من أسرار انحطاطنا العجيب.

في الكنية العثمانية اليوم ٣٠ أستاذاً فيهم العربي والتركي والإفرنجي و ٣٠ موظفاً في أعمالها المختلفة وتقسّم مدة التعليم فيها إلى ثلاثة أقسام القسم الابتدائي ومدته ستان والقسم الاستعدادي ومدته أربع سنين والقسم العنسي ومدته أربع سنين أيضاً وفيها قسم للصغار من سن الخامسة إلى العاشرة يبلغ عددهم ٣ طفلاً تقوم على تربيتهم معننة مسيحية ومريية (قهرمانه) أخرى تنام معهم وتعنى بشؤونهم كما تعنى الأم بشؤون أطفالها.

ينال المتخرجون من هذه الديار شهادة تعادل شهادة البكنوريا في المدارس الأخرى العالية وأهم ما يتعلم فيها من المعارف والعلوم واللغات وتعليم النافع من الآداب الدينية العالية وإعداد أذهان المعلمين إلى قبول النور الجديد ممزوجاً بالنور القديم وتخرجهم في مضمار الارتقاء.

وفي بيروت مدرسة ثانية ناجحة نشأت منذ ثلاث سنين لهنه رجل هندي محمد عبد الجبار أفندي خيرى وهو رجل درس في كلية عليكر الإسلامية ثم جاء بيروت وتخرج في كلية الأميركان حتى أحزر هو وشقيقه محمد عبد الستار أفندي خيرى شهادة معنم في العلوم فحدثتهما نفسيهما أن يخرجا هذه البلاد خصوصاً بعد أن درسا أحوال مرسلي الأميركان واطنعا على مقاصدهم وقام في ذهنهما أن يشرأ بالإسلام كما يشر أولئك بالصراية فأنشأ هذه المدرسة بمعاوضة فتة فاضلة من شبان بيروت وتجارها فقاما بعملهما وإنكار النفس مبدأهما والغيرة الدينية دافعتهما وقد تشبعا بتعاليم الغربيين ولاسيما الكمونيين وعرفا بالخبر والخبر كيف تنجح الأعمال وتنضج وأي الأساليب أولى بالإتباع في التعليم.

يدهش المرء من تقلد هذين الأستاذين ومن تقشفهما وعبرهما واستارة عقولهما وتوقد
الذهن والغيرة في نفسيهما ويعجب أكثر إذا رأى الرئيس أحدهما يرحل في السنة الماضية
إلى أوروبا يدرس في فرنسا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا وإنجلترا طرق التعليم في مدارسها
وكلياتها ويؤوب إلى هذا الثغر المسعود بخدمة المهاجرين إليه يطبق فيه على الطريقة
الإسلامية ما يلائمنا من أوضاع الغرب.

لا أعلم مدرسة إسلامية في سورية تعلم صغار الطلبة المبادئ العنوية بالعمل مثل دار
العلوم فطريقتها في تعليمهم طريقة السكونيين في حدائق الأطفال (كندر جاردن)
ترك التلميذ يختار له بقعة من حديقة المدرسة يحرقها ويزرعها ويسقيها بنفسه وينظر
فيما يلائم مغروساته ومستنباته ثم يعلم مبادئ الجغرافيا والطبيعات والرياضيات
بالعمل دون النظر ومنه يتطرق إلى النظريات.

كان يلغنا من نجاح صغار الأولاد في القديم والحديث أمور كثيرة وما نحن رأينا اليوم
صورة من صور الارتقاء المهم في تثقيف عقول الأطفال بحيث لا نغالي إذا قلنا أن صغار
أبناء دار العلوم يعرفون من مبادئ الأشياء وحوادث الكون الصحيحة ما لا يعرف
بمثله من الصحة والمكانة شيوخ هذا الزمان. والاستظهار لا حظ له في هذه الدار كما
له في الكلية العثمانية وطريقة هذه أقرب إلى النواحي الإفريقية وطريقة تلك إلى الطرق
الإنكليزية السكونية.

لم نر في دار العلوم أسماء الخطط الكثيرة والمواد المتنوعة التي تورد في برامج التدريس من
قبل الإعلان عن المدرسة وتنوع فنونها عادة بل وجدنا فيها العمل أكثر من القول
والتأني رائد العمل والإخلاص لحنته وسداه رأينا فيها القليل رأينا فيها القليل المنقن
والقليل من المسائل مع النظر البليغ فيها أفضل من حشو ذهن بالمواد النظرية ولو

اقتصرت من تعليم اللغات على العربية والتركية والإنكليزية أو الإفرنسية فيها لانطبقت عليها هذه النظرية كل الانطباق وذلك لأن اللغة العربية لغة البلاد والدين والتركية لغة السياسة والدولة ولغة واحدة من لغات أوروبا تكفي فيما نحب النهم إذا جعل تعليم أكثر من لغة اختياراً وإلا فالعسر يضيق عن درس اللغات وإتقانها واللغات آلة لا غاية. مدرسة دار العنوم الخارجية والسعي لها متواصل لا يتباعد أرض لها واسعة تقام عليها بناية المدرسة ومما أعجبنى فيها فئتان مئتان تتعلمان بجانب الفتيان ومما رأيت من نجاحهما ذكرت طريقة الأميركان في التربية المشتركة فعسى أن تكون الفئتان مقدمة لهذه الطريقة التي ثبت غناؤها في ديار الغرب فيذكرنا بما كان من دروس المحدثات والقارئات في عصور ارتقاء المسلمين في المساجد والجوامع وإننا لنترجو أن يزيد عدد طالبها بمرور الزمن وعددهم الآن ١٧٠ طالباً يتخرجون على أدب النفس وأدب الدرس.

ربما يتبادر للنهن شيء من قصور معنى الكنية الإسلامية وليس أحسن في الجواب على ذلك من نقل ما تقوله هذه الدار عن نفسها في بيانها السنوي سنة ١٢٢٣ - ١٩١١ قالت:

نعني بالكنية العثمانية الإسلامية معهداً عنياً راقياً يدرس جميع العنوم والفنون التي تحول

المخرج منه أن يكون حاصلاً على شهادة البكنوريا - أن يكون رجلاً تام الأدوات علماً وأدباً - وأن يكون ذلك الرجل الذي تحتاجه هذه البلاد بعلم راسخ وحقائق راهنة متزوداً حسن الخلق يعرى الوطنية متمسكاً بسلاح العلم والمعرفة.

هذه غاية العمدة. وهذه هي الإصلاحات التي أدخلت إلى المدرسة

(١) إصلاح التدريس الابتدائي وجعله سنتين مفردتين عن التدريس الاستعدادي والعلمي - ثم إتباع طريقة المشاهدة والحس في التعليم فيه - وتقوية مفكرة الشباب وتعويده على الاستنتاج - وأن يكون أغلب التحليم في هذا القسم باللغة العربية كما سيظهره بروجرام التدريس المفصل.

(٢) يجب أن يرقى التعليم الاستعدادي وأن تفصل إدارته ثم أن ينظر في الكتب التدريسية وخصوصاً العربية وأن تتبع لأساتذة الطرق الحديثة في التربية والتعليم - وقد سافر الأستاذ الرئيس إلى مصر وزار معظم مدارسها الميرية والأهلية من ابتدائية وثانوية وعالية وشاهد طرقهم في التحليم وبحث في الكتب المدرسية في اللغة والفنون واستمع معاً كتباً همة تفي بالحاجة وتقوم بالمطلوب.

(٣) الممي الحث في أن يكون تدريس العلوم باللغة العربية مستعملة لذلك الكتب المؤلفة أما الموضوعات التي يؤلف فيها حتى الآن فإن الكلية ستقوم بها وتستعمل الأساتذة طريقة إلقاء المحاضرات وطبعها في مطابع جلاخية تسهلاً للتلامذة وحفظاً لتلك المحاضرات.

(٤) أوقات التعليم لا تزيد عن خمس ساعات يومياً مع زيادة الاعتناء في الرياضة البدنية والحركات الجمبازية التي تدرس تدريساً خاصاً.

(٥) تعين الكلية قهرمانة للاعتناء بالتلامذة الصغار في القسم الابتدائي وملاحظة ثيابهم ونظافتهم.

(٦) العلوم والفنون والموضوعات التي زيدت: الفلسفة الأدبية والأخلاق الدينية. المطالعة العربية لعامة الصفوف في الأقسام الثلاثة. تاريخ الآداب العربي. النقد التاريخي.

علم المثلثات. علم الفلك. الفلسفة العقلية. علم الرسم. أصول التجارة والمراسلات فيها وجغرافيتها.

(٧) زيادة أوقات التعليم العنفي في الكيمياء والطبيعات. وجنب الأدوات اللازمة لذلك.

(٨) يجب أن يكون التدريس والكلام سواء من الأساتذة أو التلاميذ بالعربية الفصحى.

(٩) تخصيص قطعة من الأرض لبعض التجارب النباتية والزراعية.

اللغة العربية: هي الأساسية في الكلية يدرسها التلميذ في كل صف من صفوفها في الاستعدادية والعنيفة على أن التعليم الابتدائي إن لم يكن كنه فجنه فيها وذلك لأن اللغة العربية هي اللغة الأساسية الأصلية فإذا تمكن الشاب من لغته الأصلية يمكنه أن يتفرغ بعد ذلك إلى بقية اللغات الأجنبية - فتعين لها الكنية الأوقات اللازمة لإتقان الصرف والنحو وعلوم البلاغة (المعاني البيان البديع) واللغة والعروض وقرض الشعر والإنشاء والتعريب بحيث يتخرج الشاب ضليعاً في لغته عربي الأسلوب فصيح البيان كتابة وخطابة. والكنية تشط هم الأساتذة على نقل العلوم الحديثة إلى العربية لتدريسها فيها لأن بذلك خدمة اللغة والأمة العربية.

اللغة التركية - تبذل الكلية العثمانية جل جهدها لأن يكون ابن العثمانية متقناً لغة دولته الرسمية قراءة وكتابة وإنشاء وهي تخصص لها في الدائرتين الاستعدادية والعنيفة الأوقات اللازمة لإتقان فروعها من مكالمات ومفردات وصرف ونحو وبلاغة وإنشاء وأدبيات وترجمة.

اللغة الإفرنسية - هي اللغة الأجنبية التي اختارها عمدة الكنية لتدريسها درساً متقناً والاعتناء بتعليمها اعتناءً تاماً ليطلع التلميذ على كنه أسرارها وحتى يمكنه التبحر في مختلف الفنون الحديثة والعنوم العصرية.

أما مواد تعليم هذه اللغة فهي الصرف والنحو والبلاغة والبيان والنقد البياني والإنشاء والمراسلات التجارية. والترجمة وتاريخ علم الأدب الإفرنسي.

إن ما سبق ذكره من اللغات هي إجبارية في المدرسة واللغة الاختيارية هي الإنكليزية أو الألمانية فتعلم منها الصرف والنحو والترجمة والإنشاء والمراسلات.

وعنوم الكنية (١) العنوم الدينية. القرآن الشريف. التوحيد. الفقه. عملاً وعلماً من عبادات وفرائض ومعاملات (مجلة الأحكام الشرعية) وعلم أصول الفقه. والفلسفة الأدبية من القرآن الكريم والحديث الشريف.

(٢) التاريخ من قديم وأجيال متوسطة وحديث وحاضر. والسيرة النبوية. وتاريخ العرب.

(٣) الجغرافيا. الرسم الجغرافي. الجغرافيا التجارية. والجغرافيا الاقتصادية مبيناً كل ما يتعلق بالمنكة العثمانية والدول الشرقية.

(٤) الرياضيات. الحساب. الجبر. الهندسة. علم الفن. المثلثات. مسن الدفاتر.

(٥) العنوم الطبيعية من مواليد ثلاثة (حيوان نبات جهاد) علم خواص الطبيعة. الكيمياء. حفظ الصحة.

(٦) الرسم. حسن الخط. الموسيقى.

(٧) المنطق. الفلسفة. الاقتصاد السياسي. علم الأخلاق.

(٨) تاريخ الأدب العربي. خطب في روح الاجتماع والعنران. فن الخطابة والإلقاء.

أما دار العنوم فنُها الآن أربع مدارس: (١) المدرسة التأسيسية (٢) المدرسة الابتدائية (٣) المدرسة الاستعدادية (٤) المدرسة الصيفية.

(١) المدرسة التأسيسية - يراجع الرئيس بشأن هذه المدرسة.

(٢) المدرسة الابتدائية - هذه تؤهل طنتها للمدرسة الاستعدادية.

فهي تعنيهم الدروس الأولية في الموضوعات الآتية: - (١) القرآن الكريم والتعليم الديني (٢) اللغات - العربية والتركية والإنكليزية والإفرنسية مع علم آدابها وفن الخطابة (٣) الرياضيات - الحساب وأشكال هندسية بسيطة (٤) الجغرافيا الوطنية والطبيعة (٥) التاريخ - حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص وتاريخ حياة بعض عظماء الرجال والنساء. (٦) عنوم عصرية - مبادئ في معرفة المحيط القريب. إشارات في الموضوعات الأساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والآتربة والمعادن والكيمياء والحكمة الطبيعية والفنك ومنافع أعضاء الإنسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية الخ. (٧) الرسم (٨) التمرين العسكري العشاني وألعاب رياضية. وهذه المدرسة تستغرق أربع سنين مدرسية ولغة التعليم فيها هي العربية فقط.

(٣) المدرسة الاستعدادية - يقصد بها هيئة طنتها لدخول المدارس العالية والكنيات في الوطن وفي الخارج فهي تتقن الدروس الابتدائية في الموضوعات المشروعة بها في المدرسة الابتدائية مع زيادة تفصيل ودقة وترتيب وتزيد عليها كنها هو مبين أدناه: (١) التفسير والحديث وعلم الأديان وعلم الأخلاق ومبادئ أساسية من حكمة الإسلام. (٢) دروس أعلى في اللغات وعلم آدابها وممارسة أكثر في الإنشاء والخطابة (٣) مراجعة الحساب ودروس في مبادئ الجبر والهندسة (٤) جغرافيا المبنكة العشائية المفصلة والجغرافيا السياسية العامة. (٥) تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام

والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وتاريخ المنكة العثمانية ومختصر تاريخ أوروبا القديم والحديث. علوم عصرية - حث على إيمان النظر في الطبيعة واخيط القريب وإيضاحات في الموضوعات الأساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والأتربة والمعادن والكيمياء (٦) والحكمة الطبيعية والفلك ومنافع أعضاء الإنسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية البسيطة (٧) الرسم بالألوان (٨) إتقان التمرين والتهديب العسكري العثماني وبالاختصار يربى الطالب من كل الوجود.

وهذه المدرسة تستغرق سنتين مدرسية. أما لغة التعليم فتكون غالباً اللغة العربية إلا في العلوم العصرية وغيرها من الموضوعات التي لم تترق بعد في العربية والتركية.

(٤) المدرسة الصيفية - هذه أنشئت خصوصاً للطلبة المقصرين الذين يرغبون في تعويض ما نقصهم والتخلص من جزاء لتقصيرهم ليرتقوا صفوفاً أعلى وأيضاً للطلبة الذين ليس لهم عند أهلهم أشغال نافعة ويحبون في تقوية أنفسهم لدروس السنة الآتية.

العربية في الكلية

كان المأمول من الكلية السورية الإنجيلية الأميركية أن تكون في مقدمة معاهد التعليم في هذه الديار في العناية بآداب العربية وإحياء مدينة البلاد وإدخال المدنية الحديثة إليها بحيث يأتي من تعليم المدنية العربية ممزوجة بالمدنية الغربية نوع من هذه المدنية النافعة. هكذا بدأت تلك الدار ولكن عيبتها رأوا أن يجعنوا سنين التقدم للغة الإنكليزية بدعوى أن العربية يضيق صدرها عن الإفصاح عن العلوم الحديثة ولا يتيسر لها أن تسير مع المتحدثات العصرية جنباً إلى جنب.

وهذا الخلاف هو الذي حمل فقيدي العلم والآداب الدكتورين كرنينوس فانديك ويوحنا ورتبات على مغادرة منابر التدريس في صفوف الكلية وكانا من أعظم علماء

العاملين لأنهما أيقنا أن التعليم بالإنكليزية مؤخر لنشر العلم في هذه البلاد وداع إلى تراجع الكنية على ما هو المشاهد اليوم وإذا قل النافعون النافعون في المخرجين من هذا المعهد العلمي العظيم وانصرفت وجهة نظر المعنيين إلى الاستخدام في مصر والسودان وأميركا فهاجر إليها خيار أبنائنا كانت الكنية معهم أشبه بمحطة توضع فيها البضائع أياماً تنقل إلى قطر آخر فليس لبيروت بل لسورية من هذه الكنية إلا أنها موطن لتعليم أولادنا على الطريقة التي تريدها تلك الكنية ثم الرحلة بهم إلى حيث تروج بضائعهم رحلة أبدية ووقية.

فإذا كان لهذه الكنية التي ما دخلناها مرة إلا ورأينا فيها مثال العظمة الأميركية وقوة المتحمسين الأميركان لبث دعوتهم الدينية ثم المدنية - هذا الامتياز وتلك القوة العلمية والمادية أليست حرية بأن تنفع البلاد التي أسست فيها وعاهدت النفس على خدمتها أكثر مما نفعها؛ وذلك بعنايتها بتدريس اللغة العربية تدريجاً يحمد أثره ويطيب خبره ومجبره. وهذا لا يكون إلا بانتقاء خيرة الأساتذة لتدريسها كما يختار للإنكليزية على الأقل ونشر الأسفار في العلوم الحديثة والقديمة وإلقاء المحاضرات والخطب على الدوام بلعربية كما تلقى بالإنكليزية.

ربما شق هذا القول على غير المنصفين من تلامذة الكلية وأساتذتها ولا سيما من رأوا نيل شهادة البكنوريا منها هي غاية علم الأولين والآخرين وأن شهادة الطب أو الصيدلة أو التجارة منها هي جماع المعرفة والنجاح العالمي وأن من لم يسعد الحظ بالدخول إلى أبواب الكلية والجنوس على دكات صفوفها يستحيل عليه أن يتعلم تعليماً نافعاً إلى غير ذلك من الدعاوي التي طالما تجلت في أقوال كثرة من المخرجين في الكلية وأفعالهم أو في نفوس من وقفوا أنفسهم على خدمة الكلية بما تريد ليعدوا في جملة معلميها وإن

كانت عمدة الكلية لا تحسب أبناء العرب بل أرقاهم كعباً بمثابة أصغر معلم أميركي فيها مهناً صانعوا أو تنظفوا مع الأمير كان.

ومن الغريب أن بعضهم كان يشكو من سلب إرادة الرؤوسين من الرهبان البابويين وفناء إرادتهم في إرادة رؤسائهم فنما رأينا أساتذة العربية في الكلية الأميركية ثبت لنا أن مرسلني البرتمانت ليسوا أقل سطوة على نفوس رؤوسهم من أولئك الرهبان وما نطن أن معني العربية متى أيقنوا أن المدرسة محتاجة إليهم أكثر من احتياجهم إليها تعاكسهم في إصلاح طريق تعليم العربية وإحكام منكرها بالصحف والكتب والخطب والدروس.

ومن الأسف أن تكون الكتب المخطوطة والمطبوعات العربية في مكتبة الكلية أقل من عشر المطبوعات الإنكليزية بل لا تكاد تبلغ بمكانتها جزءاً من عشرين جزءاً من مكانة الكتب الإفرنجية وإن ما في مكتبة الكلية من قسطن الكتب أدنى إلى أن يكون مكتبة فرد صغيرة منه إلى أن يكون مكتبة جمعية كبرى لها في المصارف المالية نحو أربعائة ألف ليرة تقاضى يعها السنوي.

نعم إن مكتبة الكلية لا تفي بحاجة مشغل واحد بالعلم فكيف تكفي في سد حاجة مئات المشتغلين وكذلك الحال في مجلة الكلية التي تصدرها عمدة المدرسة باللغة الإنكليزية والعربية وتجعل موضوعاتها الإنكليزية أمتع وأوسع والعربية تافهة على الأغلب.

هذه الملاحظة التي نلاحظها على كلية الأمير كان نلاحظها أيضاً على كلية القديس يوسف الكاثوليكية في بيروت فإن القوز الفصل للغة الإفرنجية فيها يتصنع منها المخرجون فيها أكثر من تصنعهم من الآداب العربية وما رأينا نابغة بالإنشاء العربي

مثلاً تخرج على أساتذتها على كثرة من يعد القاصون بأبحاثها من أسماء المؤلفين والمترجمين والتجار الذين درسوا في الكلية اليسوعية النهم إلا إذا كان ممن لم يعرفهم ولكن ما يشفع لهذه الدار أن عندنا جمعوا لهم مكتبة شرقية منقطة القرين في هذه الديار وسحروا للمنقطعين لتأليف والبحث من قسيسهم المعنيين أن ينشروا ما طاب لهم من الأسفار العربية خصوصاً ما وافق غرضهم الديني وخدم أفكارهم ولو بالواسطة فكان من أثر ذلك أن نشرت المطبعة الكاثوليكية الملاصقة لهذه الكلية الكاثوليكية نحو مئة كتاب عربي وبعضه خلا من المسخ والحذف وإن نشروا في مجلة المشرق عدة رسائل نافعة في جنب ما ينشرونه من المقالات الدينية.

هذا ما نراه في الكيتين العظمتين القديمتين الأميركية والإفريقية ولغة العلم فيها وما نشأ لها من الآثار وما يرجى لها منها إذا عينا أكثر من الآن بنقطة البلاد فعسى أن يحمل من نفوس القاصين عنهما اخل المطوب ويحل محلته من الإخلاص وإرادة الخير حتى يكون في سلبها أبناءنا بتعليمهم لغات الأجانب بعض التعزية في تعليمهم لغة أمهاتهم وآبائهم ليقروا على بث الفكر المقصود بين أهل جيلهم وقبيلهم.

معامل السيوف

كما تأمل الناظر في الأعمال الكبرى التي قامت بهنم الأفراد في هذه البلاد لا يراها تخرج عن القاعدة التي جرت عندها عند أهل الحضارة الحديثة والقديمة فينجح في العادة من قمنوا سنين على العمل الذي يريدون أن يتحضرأ له وعرفوه بدقيقه وجنيه وفروعه وأصوله. فالناجح في أرباب المطابع هو الذي سبق له وتعلم في صباه صناعة تصيد الحروف واستعمال الأدوات والكتابة على الحجر. والناجح في زراعته هو الذي يحسن معرفة الحرث والكرث بيده ويحيد البذر والتسميد والتشذيب والعزق والسقي

والتعشيب وأنواع البذار وما يحود منه وأجناس التربة وما يصنعها وتربية الأشجار والنباتات والقيام على المراشي والناجح بعمل الأقمشة هو الذي ينم إلماً مهناً بكيفية نجحها وحياتها وضروب الحرير والكتان والغزل والصوف. بل والناجح ففي كل فروع الأعمال الاقتصادية والصناعية والتجارية هو الذي مشى في عمده على سنة الكون فبدأ صغيراً وثبت معارفه بتقدمه في السن فينال من النجاح بقدر جهاده وملاءمة الأحوال له وحالة محطة وأسبابه ورأس ماله المادي والمعنوي.

هذه المقدمة تنطبق كل الانطباق على إلياس أفندي جرجي السيوفي صاحب المعامل المشهورة به للتجارة والفرش في بيروت. كتبت لي زيارتها هذه المرة فرأيت صورة مصغرة من صور الغرب في بلاد الشرق وتمثل لي فضل الذكاء العربي وأنه وإن لم يفق الغربي فليس دون وإن يد أبنائنا صناع في الأعمال لا يفوقها ابن فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا وسويسرا وبنجيكا إلا بأن الإفرنج يرجعون إلى أساليب في العمل نقصاً أو تكاد في أكثر البلاد لا تجد لها أثراً بيتنا وهي ترجع إلى أسباب رئيسية مهنة أولها الصبر على العمل وثانيها تجويد العمل وثالثها القدر اللازم للعمل من المال والمعرفة ورابعها الاقتصاد في الوقت والأيدي العاملة وخامسها تنشيط الآهين والحكومات للصناعات الوطنية وحماية التجارة الداخلية بقوانين تنفذ على الصادر والوارد وسادسها وجود المواد الأولية التي يمكن بها الاستغناء عن البلاد الخارجية في الجملة.

دلت معامل السيوفي أن الشرقي بمفرده أمة وأن الأمة بمجموعها ضعيفة بمعنى أن الشرقي يعمل مفرداً أحسن من عنده مجتمعاً وذلك لفقد التربية المشتركة بين المشاركة يرجعون إليها وتضم عراهم. فلو كان معمل الغزل في دمشق لفرد واحد منذ إنشائه له

خيرهُ وعنيهِ شرهُ لما اضحل هذا الاضحلال الذي نراه عنيهِ اليوم ولو كانت معامل السيوف في بيروت لشركة لما رأينا فيها هذا النظام والنجاح وبذلك صبح لنا إثبات ما قدمناه من أن الشرقي أمة بحفرده والأمة ضعيفة بمجنوعها وأن لا سبل إلى قيام الأعمال الكبرى في بلادنا وإن نقدر لها النجاح المطلوب إلا إذا اتحدت مناحينا وتعدنا تعيناً وطنياً اقتصادياً واحداً.

وأي دليل عني ذلك أفضل من أن نقول بأن صاحب هذا المعمل بدأ منذ ٢٤ سنة وهو في الثالثة عشرة من عمره لا يملك غير ثمانمائة قرش ومعلومات جزئية في التجارة تعنيها في الممارسة ومنها ما أحرزه بقانون الوراثة لأن والده كان يعمل بالحرير وجده دمشقي يجنو السيوف في دمشق إن صبح أن تؤثر الوراثة في الميل إلى الصناعة. ولا شك أن هذا الميل ثما فيه مع الزمن وزيارة أوروبا وما فيها من آثار العاملين والمفنيين فكان يتوسع في معننه بحسب سنة النمو التدريجي حتى بنع اليوم مبلغاً يعد به مفخراً من مفاخر سورية الصناعية وغودجاً من أغودجات الذكاء الشرقي الذي يدع ويمجد إذا قيأت له الأسباب وحنته الدواعي عني العمل.

عني هضبة من هضاب بيروت الجنيئة في حي الأشرافية في مكان بعيد عن مركز حركة هذا النفر يطل عني سفوح لبنان وبيروت من جهة وإلى البحر الرومي من أخرى قامت هذه المعامل البديعة في بقعة فيحة من الأرض تدخنها فتخل نفسك في إحدى معامل الغرب الكبرى وأول ما يبدأوك بعد الدخول من الرتاج ساعتان عن اليين والشمال بجانبها صندوقان معلنان مقسومان إلى بيوت صغيرة وفي كل بيت مقواة كتب عليها اسم أحد العملة وطبع عليها ساعات الغدو والغداء والرواح فتى وصل العامل بعد الفجر وقبل الإشراف في الشتاء مثلاً يضع مقواته في بيتها فلا تلبث أن تكتب عليها

ساعة مجيئه والدقيقة التي جاء فيها بحروف عربية وفي آخر اليوم أو الأسبوع يرجع إليها مدير العمل ومحسب المتأخر من المتقدم ومحسبون ذلك بموجب نظام خاص لم يجروا فيه عني مثال نظام العمال في سويسرا والبنجيك والنمسا وألمانيا ومن قوانين العننة في هذه الممالك اختار مؤسس العمل أحسن ما يلاءم هذه البلاد وينفع في نجاح عمله ويعود عليه وعنيهم بالربح واقتصاد الوقت.

وهذه الساعة من أنفع ما يجب استخدامه في معاملنا ومطبخنا ودواوين أعمالنا وبيوتنا التجارية والمالية ودوائرنَا العسكرية والمنكة ليتعلم قومتنا مراعاة الوقت والتدقيق في حساباته حتى يبارك لهم بساعات العمل وأيام الحياة ويتعلموا أن التدقيق في المواعيد أحد دعائم التنظيم في فروع الأعمال ومن أهم أساليب النجاح الذي غفل عنه معظم سكان هذه الديار وعدوا من ينظم أوقاته ويدقق في وعوده واستقبال خاصته ومن لهم علاقة به في ساعات محددة متكرراً أو مهوساً.

يباكر العننة في معامل السيوفي في الصيف والشتاء والخريف والربيع عني السواء وينقطعون ساعات وقت الظهر ثم يعاودون العمل إلى قبيل الغروب أو إلى بعده بقليل بحيث لا يتجاوز معدل ساعات العمل في اليوم تسعاً بخلاف عننة أوربا فإنهم يعنون في بعض البلاد كبنجيك مثلاً زهاء اثني عشر ساعة ولكن لنحيط وكثرة الأيدي العاملة والعادة والإقليم دخلاً كبيراً في هذا الاصطلاح ولو لم تكثر هجرة الميحين بعد الدستور لوجوب الخدمة في الجندية عليهم وجوباً عني إخوانهم المسلمين فانسل معظم من هم في سن العسكرية إلى أميركا أو غيرها من أبناء الطبقة الدنيا خصوصاً لما قلّ بذلك عدد العننة في معامل السيوفي فليس فيها اليوم في حي الشرفية وداخل المدينة

أكثر من ٢٨٠ عاملاً مع أن الأدوات والأعمال التي اقتناها صاحبنا تشغل ضعفي هذا العدد فيستيدون ويفيدون.

أكثر ما يعمل في هذه المعامل منجورات الدور الخشبية وأنواع الفرش وأثاث البيوت ففيها تعمل كما تعمل في الغرب فتألق الأيدي والعيون في تجويدها وتساعدتها الأدوات التي تدار بالفحم الحجري وتبلغ نحو الستين آلة ومنه لقطع الخشب وصقله وحفره وتقويره وتنشيفه فترى في خشب الجوز والزان من واردات الروم - (أناضول) والأكاجو من كوبا وشوح النساء وسنديان أميركا والخشب البياسي من قيلقية (أطنة) تعمل في تلك الأدوات الحجرية وتحركها تلك الحركات والآلات كأنها العجين في يد خبازه أو الملاط بيد البناء الحاذق.

قال لنا صاحب المعمل أن الآلة الكبرى الخركة في معمله هي بقوة مئة حصان تنفق في النهار ١٣ فرنكاً من الفحم وكانت الآلات التي هي أصغر منها تصرف من قبل أكثر منذ ذلك وهذا يستدل أيضاً أن نفقات المعامل الكبيرة أدنى إلى الاقتصاد وأعمالها أقرب إلى الجودة من مصنوعات المعامل الصغيرة لاسيما والمعامل الكبرى تتجنى فيها قاعدة تقسيم الأعمال فنجد العناية في معامل السيوي مقسومين إلى عدة أقسام قسم الأدوات وله وكيلان وقسم النجارة وله وكيلان وقسم الحفر وله وكيل وقسم البرداخ وله وكيل وفي هذا القسم نحو أربعين ابنة تعمل فيه وللمحل رسام خاص وكلهم من أبناء العرب ليس بينهم إفرنجي حتى الأدوات قد جعلت في مواضعها بمعرفة صاحب المعمل دون الاستعانة بأحد من شير أبناء وطنه.

تخفف أجرة العامل في اليوم من ستين بارة إلى ستين قرشاً ويحاسب عن أجرته كل يوم سبت من كل أسبوعين في الشتاء ويحاسب في الصيف كل سبت قبل الظهر لئيسر له

الخروج إن أحب إلى الجبل بصرف ليل الأحد وليل الاثنين فيه للزحمة ويقضي على كل عامل أن يعمل ستة أشهر تحت التجربة. أولاً ثم تحسم من مياومته أجرة أسبوعين تجعل في صندوق اخل حتى لا تحدث نفسه بالخروج من العمل كل يوم أو كل أسبوع كما يفعل بعض العسنة في المعامل ويتركون أصحابها معطين.

ومن جهة ما شهدته من النظام داخل العمل قاعة كبرى وموائد يتناول عليها العسنة طعام الظهر وآلة تصفط النشارة عندما توضع فيها وهي من اختراع أحد العمال هنا وتلقي بها إلى مكان بعيد خارج بناية العمل ومن هناك يتاعها أرباب القنامين ومما رأيته خارج العمل من النظام رصف الطريق الموصلة إليه على نفقة صاحب العمل وغرس بعض الأشجار على جانبيها وينبغي طولها نحو كيلومترين.

هذا ما رأيته في معامل السيوف من النظام الذي لا أبالغ بأي قلما رأيته في معمل يرأسه شرقي ولذلك بصفق لصاحبه لأنه بدأ به صغيراً سنة ١٨٨٨ في مدينة بيروت وكبره سنة ١٩٠٨ في حي الأشرقية على الصورة التي رأيناها اليوم ونفقة عمارته وأرضه وأدواته تساوي خمسة وعشرين ألف ليرة ولكن لا يتيسر لمن معد مئة ألف ليرة أن يقيم مثله بأدواته ونظامه إذا لم تسبق له معرفة كسفرة السيوف ولم يقض سنين مثله في التجارة ويحيط بما جل وقل من أساليب العمل وتجويده فثبت كل أعمالنا تجري على هذا المثال من النظام البليغ والنجاح الأكيد.

جنون الاستعمار

إذا قيل أن السياسة لا قلب لها فيقال أن جنون الاستعمار فنون فقد ساق الغرور دولة إيطاليا إلى أن تحرق العهود وقوانين الدول وتبعث إلى طرابلس الغرب وبرقة بمدرعاتها وجيوشها للاستيلاء بدون مسوغ قانوني على بلاد طرابلس وبرقة من يد صاحبها

الشرعية دولتنا العثمانية ولو أتت دولة شرقية مع دولة غربية ما أتنه إيطاليا مع العثمانية لقامت الدول الكبرى يداً واحدة والله أعلم أي تعريض كن يقضين على المعتدية به ولكن السياسة لا قلب لها وجنون الاستعمار فنون.

قال الرحالة روهنفس الألماني وقد زار صحراء أفريقية مرة ثانية سنة ١٨٧٧: إن طرابلس الغرب مفتاح أفريقية فمن يملكها يملك السودان كله وفي الواقع أن البحر المتوسط يكاد يمس الصحراء من طرابلس وإليها تنتهي ثلاثة أو أربعة طرق من الطرق المهمة في الصحراء فمن طريق غدامس يوصل إلى السودان الغربي ماراً ببلاد توات وتومكتو ومن طريق مرزوق وغات ينتهي الطريق إلى بحيرة تشاد وطريق بنغازي (برقة) يؤدي إلى النيل ودارفور ولكن هذه الطرق لا أمن فيها وخصوصاً في جهات فزان من الجنوب حيث ال + + ة والجياغ من الطوارق قد يملكون أيديهم بالأذى إلى أبناء السبيل ولا سيما أيام المجاعات وما أكثرها في طرابلس وبرقة.

وهذا ما منع فرنسا وغيرها من دول الاستعمار من قطع المطامع من طرابلس لأنها متناحية الأطراف وعمران الصحراء هو والعدم سواء وبلاد هذا حالكاً من الفقر الطبيعي يستحيل على شركة عاقنة في الغرب أن تقدر على إنشاء خط حديدي يربط أديها بأقصاها على الأقل ولذلك كانت نقا اتصال الصحراء بالبحر من البحر الأتلانتيكي وخنيج غينية والبحر الأحمر يفضنها التجار وأكثر طرقها لا ماء فيه أربعة أو خمسة أيام على الوصول إلى البحر المتوسط من إحدى موانئ هذا الإقليم طرابلس ودرنة وبرقة وطبروق والسنوم.

بيد أن إيطاليا تحلم بالامتلاء على طرابلس قبل أن تولف وحدتها لتكون لها مركزاً تعتمد عليه بين جزيرة كورس الفرنسية وثمر برزت التونسي وجزيرة مالطة الإنكليزية

وثغر تريسته النمساوي فجعل طبرق من إقليم برقة مرفأً حريباً في نقطة وسطى بين تلك الجزائر والثغور. ويقول أنصار إيطاليا أنهم إذا تم لهم ما تريد فإنها تنزع من الوجهة الاقتصادية من برقة على الخصوص لأنها تشبه تونس بعمراتها وقد غرس اليونان الكرم والزيتون في أرضها وفيها من غلات الإسفنج شيء كثير فتصرف فيها وفي غيرها مصنوعات معامل بينون ولومبارديا وبالنظر لقرب طرابلس وبرقة من جزيرة صقلية الإيطالية ولكثرة سكان هذه الجزيرة يجيء بعض أهلها يستحبون الحقول ويشتررون المعادن في طرابلس.

ولكن فات أولئك الباعثين أن ذلك الحلم على فرض تحقيقه والرجاء أن يجيب أن إيطاليا كانت تستطيع الوصول إلى هذا الغرض من إفادة بعض أبنائها من خيرات هذا الإقليم العثماني بأن تبذر في مشروعاته النافعة جانباً من أموالها فتتأهل ما تريد بحكم المنافسة بين أرباب الأموال والأعمال ولا سيما الأوروبيين منهم كما هو الحال في معظم أصقاع المملكة العثمانية.

فقد رأينا فرنسا وضعت ملايين من أموالها في شركات المكنك الحديدية في المملكة العثمانية فحفظت بذلك نفوذها ونفعت تجارتها ومعالمها فكان على إيطاليا لو أحبت الانتفاع بسلام أن تجرى على آثار الفرنسيين جيرانها وبذلك يتوفر لها من النفقة كل يوم على بريتها وبحريتها منذ نحو ثلاثة أشهر بمئة ألف جنيه وهذا مبلغ جسيم بالنسبة لمملكة تطبق مفاصل ميزانيتها بضروب الضرائب الفادحة على رعاياها حتى هاجر منهم إلى أقطار الأرض حتى الآن زهاء ستة ملايين رجل.

قضت إيطاليا بنظامها الجائر في التملك أن يترك الناس بلادهم تنعي من بنائها وكان أهل صقلية أقاليم جنوب إيطاليا أكثر البلاد هجرة حتى أن بعض القرى خلت من

السكان جنة وأكثرها هجرة ثلثا ساكنيه وأصبحت الحال هناك في شقاء ليس بعده شقاء وفقر وعهر لا يدرك غورها فكر ونامين ببلاد يهجرها رجالها ولا يبقى فيها إلا البنون والبنات والعاجزون والعاجزات.

مثل هؤلاء القوم يستعد الخاصة من الطينيان كما تقول إحدى مجلاتهم منذ الزمن الأطول لنسياسة الاستعمارية ومعظم الشعب الإيطالي لا يهتم بتاتاً بمقبل المستعمرات الإيطالية كأثريرة والصومال بل يتجهشون البحار إلى أميركا الشمالية والجنوبية هناك يعنون ويرتزقون. فقد بدأ الخاصة سنة ١٩٠٥ ينقون محاضرات عني الاستعمار وبعد سنتين أنشئ ديوان الزراعة الاستعمارية الإيطالي وغايته أن يوجد الإيطاليون وجهتهم إلى

المستعمرات الإيطالية ويتخون عن قصد أميركا وغيرها من ديار الأجانب فأنشئت لذلك حدائق لنبات الاستعماري في مدينتي رومية وبلرمة وهذا الديوان يتلقى من المصادر المختلفة معلومات عن زراعة البلاد التي يراد استعمارها وحيواناتها وموادها ومناخها ومقدار المطار التي تطل فيها ويقوم بأبحاث جيولوجية من حيث مساحة الأراضي وخصائص شعوبها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية وفيه تلقى محاضرات في زراعة المستعمرات وحفظ الصحة في الاستعمارية وهو يؤسس مدارس إعدادية للاستعمار وينشر مجلات وكتباً في هذه الموضوعات.

وهذه النظريات لم تستطع إيطاليا حتى اليوم أن تطبقها عني العمل إلا في بلادها الأصلية العامرة بطبيعتها مثل الولايات الشمالية وعني كثرة ما يؤلفون من الشركات والجمعيات لإنفاذ شأن المهاجرين الإيطاليين في أميركا فإن الإسرائيليين هناك كما أكد محققوهم أنفسهم أقدر منهم عني الأعمال فإن قسماً منهاً من التجارة الصغيرة

والعظيمة بأيدي الإسرائيليين وكذلك المصارف الكبرى والحكومة والوظائف العامة وعنّى قلّة عددهم لهم مكانة دونها مكانة الإيطاليين الذين يدعون أنهم من نسل غاريبالدي ومازيني وميكل أنجل وليونارد دي فنسي ورافاييل سانتريو وأمثالهم من أرباب الصناعات النفسية ورجال الإدارة والسياسة.

نحن نعلم أن الطليان كثير نسلهم يهاجرون إلى الزوج رجالاً ونساءً وإن نسبة السكان منهم إلى كل كيلومتر مربع أكثر من نسبتها في ألمانيا ففي الكيلو متر المربع في إيطاليا ١١٧ ساكناً وفي ألمانيا ١٠٤ أشخاص وقد ارتقت التجارة الإيطالية ارتقاء مهياً ولا سيما بعد أن توطدت أركان الوحدة الإيطالية وتألّفت من تلك الممالك الصغرى البندقية وطوسكانيا وجنوة وغيرها هذه المملكة الكبيرة وإن دين إيطاليا قليل بالنسبة لساكني الممالك المندنة ولكن كل هذه الصفات لا تبرر عندها عند العقلاء وسوف تعلم أنها لو صرفت نصف ما صرفته حتى الآن من المال والرجال في الأعمال العمرانية سواء كان في بلادها أو خارجها لكان أحسن لها وأبقى.

وما نظن أن إيطاليا تستطيع أن تتزع من أرباب الأملاك أملاكهم في طرابلس مهما نوعت أساليب الحيل ففرنسا بعد استعمار الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ على شدتها في استعمارها لم

تتمكن من الاستيلاء على ما تحب من الأراضي كما يفعل الرومانيون في البلاد التي يفتحونها ويترعون من المالكين ويسعمرونها بأبنائهم غالباً والرومانيون أجداد الإيطاليون الأول وإلى اليوم لم تبيع حكومة فرنسا من الجزائر بل هي تخسر عليها.

فهل يعقل أن تتحقق أمني إيطاليا في طرابلس والخصب فيها في أماكن معينة وعي منك لأمنها ولطالما دافعوا عنها دفاعهم اليوم من اعتداء الفاتحين وطردهم من عقر دارهم.

فإذا كانت إيطاليا تقصد الإثراء ونفع أبنائها فهذه الطريقة من أعظم ما لجأت إليه دولة مستعمرة من دول المدنية الحديثة فإن ثروة الناس لا تزيد باتساع ممالكهم فالصيني ليس أغنى من الفرنسي مع أن سكان الصين عشرة أضعاف سكان فرنسا والألماني ليس أغنى من البنجيكي من أن سكان ألمانيا عشرة أضعاف سكان بنجكا وقد تضيق أرض سكاتها حتى يقل الرزق عليهم فيها فتضطر حكوماتهم أن تحتلك بلاداً أخرى كثيرة الخيرات قليلة السكان حتى تسهل على الفاضل من أهاليها المهاجرة إلى تلك البلاد والارتزاق فيها كما فعلت إنكلترا وهولاندا وجرت فرنسا وألمانيا مجراها. ولكن إيطاليا لم تعبر كل بلادها حتى الآن فليس لها حاجة إلى فتح بندان أخرى وتعميرها للارتزاق منها فإن عندها جزيرة سردينيا مساحتها أكثر من ٩٣٠٠ ميل مربع وليس فيها من السكان سوى ٨١٠٠٠٠ نفس مع أن حقلها ثمانيتها مساحة وسكاتها أكثر من ثلاثة ملايين ونصف وعندها مستعمرة ارتريا في أفريقية على حدود السودان ومساحتها ٤٥٨٠٠ ميل مربع أي نحو نصف مساحة إيطاليا كلها وهي من أغنى بلاد الدنيا بالنجم والحراج وليس فيها من السكان نصف مليون نفس وعندها بلاد الصومال ومساحتها نحو ١٤٠٠٠٠ ميل مربع أي أكثر من مساحة إيطاليا بنحو ثلاثين في المئة وسكاتها نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس وهي بلاد زراعية كثيرة الخيرات فعلى م لا يهاجر الإيطاليون إلى هذين البلدين ويعمرونها إن كانت بلادهم قد ضاقت عنهم.

وهب أن إيطاليا اهتمت بإصلاح طرابلس الغرب واستثمار خيراتها فهي إما أن تستأثر بذلك لتحصر الفائدة فيها وفي سكان طرابلس فتكون قد جرت مجرى إسبانيا والبرتغال في استعمارهما ففشل فشنها لأنهما فشلتا فشلاً تاماً في كل البندان التي امتنكتها وحاولتا استعمارها ومنعتا غيرها من مشاركتها في النفع وأما أن تجري

مجرى إنكترا وهو فتح أبواب مستعمراتها لتجارات كل الأمم وحينئذ لا يكون السبق للإيطاليين بل للإنكليز والألمان لأن السبق في المناظرة التجارية للأغنى مائلاً والأوفر عنماً والأمهر صناعة. وهيئات أن تعيش إيطاليا في طرابنس الغرب بحب غيرها وإعانت أهلها فإذا فعلت يحل بها الخراب كما حل برومية في أيامها الحالية.

يحل بها الخراب لأن فكرة العظنة الرومانية يضيق غنى إيطاليا الحديثة خفافها ويخرج صدرها فهي تريد أن ترجع إلى أصولها البعيدة وتطمع في غير مطمع ولا تنازل عن عجبها. تريد بالتهور في الاستعمار أن تغني وتعيد إلى رومية الثالثة مجداً أضاعته الأيام وفساد الأخلاق والنظام بل تطمع بأن تجعل ممالك أوروبا حافات من حول عرشها تسبح بحمدها وتفاخر بحمدها كما طمع نابليون الأول فكان في ذلك إضعاف أمتة بأسرها فأهريق دماءها ودماء غيرها وأفقرها وأفقر غيرها وكان مصيره أسوأ حال.

تحاول إيطاليا اليوم الدعوة إلى إعادة مجد الرومان بجميع أساليب الدعوة من نشر الصحف وإلقاء الخطب وإنشاء المدارس حتى أن الكتب المدرسية التي تعينها للأولاد تعد فيها نيس وكورس وترانق من بلادها مع أنها للفرنسيين تسير في ذلك غنى سيرة إحياء الشعور الوطني كما كانت تفعل الحكومة عندنا في كتب الجغرافيا التركية فتذكر فيها من أملاكنا ما فقدناه من نحو مئة سنة ولم يبق لنا حق من الحقوق الدولية والشرعية فيه.

تظن إيطاليا أنها تحمل المهاجرين من أبنائها بمئات الألوف إلى طرابنس وفاقاً أن هذه البلاد حتى اليوم غنى قربها من أوروبا ليس فيها سوى ٢٢٠٠ مالطي و ١٠٠٠ إيطالي و ٧٠٠ فرنسوي و ٦٠٠ إنكليزي و ١٥٠ إسبانيولياً وبعض الهولانديين والنسارويين واليونان والألمان والأميركان لا ينبغ مجموعهم كنهم خمسة آلاف نسمة وإن أكفأ

الناس في التجارة والصناعة والزراعة واقدر الأمم بالملل والرجال هم يشرون الأرض فأين هم من الألمان فقد بنع من حذقهم أن استولوا على كثير من أعمال التجارة في لندن ونيويورك بل في باريز نفسها وناهيك بكرة الفرنسيين لأعدائهم الألمان ولقد قدروا مؤخرأ عدد الألمان في باريز وضاحتها بمئة وأربعين ألفا يتجرون في نفس عاصمة الفرنسيين بجميع أنواع التجارة وينافسون الفرنسيين في أرباحهم فتجد منهم الكبيين والحياطين والجوهرين والفرائين وشركات الضمان والصارف وغير ذلك من فروع العمل فنو تدبرت إيطاليا أو خاضعتها المفكرة لعنت أنها قادمة على معترك شديد في طرابلس وبرقة ولو سلم لها ما تنويه من الغوائل الأمنية ولو سلم من كل ذلك لكانت العاقبة في الاستعمار لأرقى الأمم في مذاهب المعاش وأعرفها بطرق الانتفاع والنفع ولكن هو فساد الإدارة وجنون الاستعمار تركب الأمم في سبيلهما العار وهوي في مهزوي الدمار والبوار.

مخطوطات ومطبوعات

طبقات الأمم

عرف الأب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلة المشرق بما نشره من كتب العرب في اللغة والتاريخ والأدب دع عنك ما خدم به طائفته وجميته وآخر ما أظهر إلى الوجود كتاب طبقات المم لأبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ ظفر بنسخة منه عند أحد الوراقين بدمشق والتحريف غالب عليها لأن ناسخها الأصلي منذ نحو مائتي سنة عامي لا يحسن النقل فعارض الناشر أكثر فصولها وردها إلى أصولها على كتب عربية من مطبوعات علماء المشرقيات مثل الفهرست لابن نديم

وتاريخ الحكماء لابن المقفلي وطبقات الحكماء لابن أبي أصبعة وروعد في آخر جزء من المشرق أن ينشر الكتاب على حدة مع الفهارس اللازمة له.

وقد رأينا أن نلفت نظر الناشر الباحث إلى أغلاط وقعت له أو للناسخ الأصلي ولم يعمل الناشر في نظره فيها فجاءت مشوهة لطبعة هذا الكتاب النفيس عنه يتداركها فيلحق بها جدولاً في آخر الكتاب فيتحق شكر المعارف والآداب.

فقد ضبط (ص ٥٦٧ - ٨٦٢) المرية بكسر الميم وسكون الراء وفتح الياء والصواب بفتح الميم ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحها وهي مدينة كبيرة من كورة البيرو من أعمال الأندلس وكانت كما قال ياقوت هي وبجانبه بآبي الشرق منها يركب التجار وفيها نخل مراكبهم قال القسطنطين:

متى تلاحظوا قصر المرية تظفروا ... لبحر ندى ميناه در مرجان

وتستبدلوا من موج بحر شجاكم ... ببحر لكم منه لجين وعقيان

وقال ابن الخداد:

أخفي اشتياقي وما أطويه من أسف ... على المرية والأنفاس تظهره

والمرية بالكسر (والضم أيضاً) الشك والجدال.

وفي (ص ٥٦٨) الشابران وقد وضع عليها علامة استفهام إشارة إلى أنه هكذا وجدها وهي من مدن أرمينية والران وأذربيجان ذكرها الاصطخري في الممالك والممالك (طبعة ليدن) ونيشابور والصواب نيسابور. (ص ٥٦٩) يتجتان والصواب سجتان كما قال في الحاشية وقعت ألفاظ من مثل هذه في هذا السفر أثبت الناشر الرواية الضعيفة في المتن وترك الرواية الصحيحة للحاشية وكان الأولى أن يعكس ليصب.

(٥٧٠) خ بحر أقيابس ص أقيانس خ ولا رؤيت بها ص رؤيت لها.

(٥٧١) خ يدور فيها مناجم الأمم ص مجاهد أو محامد (٥٧٢) خ وخلفه إلى نهاية المعنونة ص وخلفه خ الست (بضم السين) ص فتح السين وهو الطريق خ لأهم أجمعين مشتركون لأهم أجمعون. ولا معنى لجملة: هذا التأليف الأليف العقل.

(٥٧٣) خ السباع التي تغاضي الإنسان أقدامها ص تغاضي خ وكذلك قالت العرب ص ولذلك (٥٨٤) خ ولأها حازت على الملوك وسط ص ولأها فازت على. خ وأشدهم أسرا ص وأشدهم أشراً والأشر البطر والنشاط.

(٥٧٥) ليتجوا بذلك قواها ص ليتجنبوا أو ليحبوا (٥٧٦) في الفرقين الأولين (كذا) ص الأولين وكان عليه أن يثبت الصواب وقد تكرر رسم الأولين في مكان آخر (٦٧٠) خفي المقاتلين الأولين ص الأولين خ في المقاتلين الآخرين ص الآخرين.

(٥٧٧) خ أوجز حساب واحضره ص وأخضره خ ي حسن التواليد ص حسن التوليد خ في مقدمة المعرفة ص تقدم المعرفة (٥٧٨) خ وتحملهم (بتشديد الميم) من الأمور ص وتحملهم بكسر الميم بدن تمديد خ وأحسن التثام ص حسن التثام خ أول منوك بني إسرائيل ص أول منوك بني سامان أو ساسان (٥٧٩) خ يزدجرو بن شهریار ص يزدجرو بن شهریار خ وجود التدبير ص وجودة التدبير (٥٨١) خ وكان عرضه ألف وخمسة ذراع ص وكان عرضه ألفاً خ وكان بعد الطوفان عدة منهم عدة ذور معرفة ص وكان بعد الطوفان (٦٦٥) خ الثغور الخزروية ص الثغور الخزرية (٦٦٨) خ طينوش الروحاني ص طينوش ومثلها يقومناخوش والصواب يقومناخوس (٦٦٩) خ وجعها آلة ص وجعها آلة.

(٦٧١) خ شجرة أساسها مزومة قواعدها وثيق بنيتها ص مدعومة قواعدها خ اليد الحليئة ص اليد الجليئة.

(٦٧٢) خ ومنها رسالته جاوبه بها ص ومنها رسالته التي جاوبه بها خ الذي كان فيه البدرة (وقال في الحاشية لعنه أراد البودة) والبودة متعين خ أقصدهم بكتب الفلسفة ص
أقصدتهم.

(٦٧٣) خ وراى عنهم آراءهم بالحجاج (كذا) الصحيحة ص بالحجاج الصحيح أو بالحجاج الصحيحة (٦٧٥) خ أو عطر ص أو غطر (٦٧٦) في غاية العناء من بعده التي يحبرون. إليها وضع الناشر في الحاشية يحبرون إليها مع أداء استفهام مع أن يحبرون متحتم أو يقال يصبرون خ إلا ما لا خطب له ص خطر له خ اشتقت لها من سبعة أشياء ص من سبعة أسماء.

(٦٧٨) خ ونخل مذاهب الحكماء ص ونخل بالأعجام خ بأن يجمع العالم في واحد ص أن يجمع (٦٨٠) خ في عدد اليونانيين ص في عدد.

(٧٥٤) خ فإن كان ذلك حق عنهم في أبعدهم في هذا الرأي من نظام الحكمة ص فإن كان ذلك حقاً فما أبعدهم (٧٥٨) خ فلا يزالون في حل وترحال ص في حال وترحال.

(٧٥٩) خ وآراء الفرق مع أن عدة الأوثان ص من أن عدة الأوثان خ ولا وارية صاحب العقل ص وراى به صاحب العقل. خ ما تعبدهم (بضم الباء وتشديدها) إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ص ما نعدهم (٧٦٠) خ والعرب أصحاب حفظة ورواية ص حفظ ورواية (٧٦٢) رؤيت إلى أقاصي الأرض فأريت مشارقها وسيلع منك أمي مارؤي لي منها ص زويت لي أقاصي الأرض. . . . مازوي. وفي النهاية لابن الأثير (طبعة مصر) زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها أي جمعت يقال زويته أزويه

زويًا. خ حكم من الله ماضياً وقضاه منه نافذاً ص حكم من الله تعالى ماضياً وقضاه منه نافذاً.

(٧٦٣) خ من أخصائه لتحنيها ص أخصائه (٧٦٧) ولما يثفع بها في العنوم ص ينضع بها (٧٦٨) خ ودنا أقواماً ص داني أقواماً (٧٦٩) خ وكان أبو نصر الفارابي معاصراً لأبي بشر متى بن يونس في علم المنطق تعديل العناء ص لأبي متى بشر بن يونس وعنى تأليفه في علم المنطق تعديل العناء.

(٨٤٦) خ عبد الله المروزي ص لعنه المروزي أو المروذي كذا في المشبه في أسماء الرجال لنذهبي (طبعة ليدن) (٨٤٧) خ وكان ذلك (صبيّاً؟) إلى التمرس بها ص سباً إلى التمرس بها (٨٤٨) خ ذي نواس ص ذي نواس ومثها التي بعدها بسطر (٨٤٩) خ المرائي الخرقه ص المرائي الخرقه. خ وكان (مذهب منه إلى مذاهب ص وكان يذهب فيه مذاهب. خ والجناعة سواهم ص وجماعة.

(٨٥٢) خ واتخذ القوط مدينة طليطنة مدائنها العتيقة قاعدة لمكهم ص من مدائنها خ ولم تنزل مركز المذنب المسلمين ص ولم تنزل مركزاً المذنب. خ عظيم منوك الأندلس. وأهل بلاد الأندلس عرض المدينة المعروفة الجزيرة الخضراء ص عظيم منوك الأندلس وأهل بلاد الأندلس. عرض الخ أي بدون نقطة بين منوك الأندلس وأهل بلاد الأندلس وعرض المدينة الخ راجع إلى ما قبل أربعة أسطر وعرضها (طليطنة) ٣٩ درجة الخ.

(٨٥٣) خ وكان عالماً لحركات الكواكب ص بحركات خ وتبصر من الزني (كذا) والربيع بن سنيان ص الزني وهو من الأئمة المجتهدين في مصر توفي سنة ٢٦٤ واسمه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى (راجع ترجمته في حسن الخاضرة لنسبوطي طبعة مصر).

(٨٥٤) خ أنا كفرت بما قالوا وما فعلا ص أي كفرت الخ خ وذلك في أيام أبيه إلى الغاية بالعلوم وإلى الثبات أهنيها ص لم نفهم معنى الثبات وفي الجنة تشويش ومثله في (٨٥٦) فداول عناية الحكم ذلك لم يظهر لنا فيحور (٨٦١) خ كان بصيراً بالهندسة في النجوم مقدماً في اللغة ص كان بصيراً بالهندسة نافذاً في النجوم أو ما في معناها خ وولي القضاء الزتية آخر دولة زهير العامري ص وولي قضاء المرية آخر دولة زهير العامري. وذلك لأن زهير العامري تغلب على المرية وأعمالها وذلك الرسم المخرف أدنى إلى أن يكون المرية (راجع المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي طبعة ليدن مصر).

(٨٦٢) خ بعنوان البرهان والنسب والمسائلة. ص ومسائله خ نال هناك دنياً عريضة ص نال هناك دنياً عريضة (٨٦٣) خ له مع ذلك نقود في العربية ص نفوذ في العربية خ كانوا مشهورين بأسمائهم عندنا بالأندلس إلى هنا وفي وزماننا ص (إلى هنا) زائدة زادهما منضد الحروف كما كرر سطرأ بعد ذلك (٩٢٤) خ أفراد من الأحداث متدبون بعلم الفلسفة ص أفراد من الأحداث مبتدئون بعلم الفلسفة لا متدبون ولا متدبون (٩٥٢) خ وعنف في مصنفات كثيرة ص وصنف فيها (العلوم الشرعية) (٩٢٦) خ ولأبي محمد بن حزم بعد تصنيف وافر في علم النحو ص نصيب وافر (٩٢٨) خ تمكنه في العلم وتحققه مذاهب للعلماء ص تحققه في مذاهب (٩٣٠) خ ودخل البصرة ومصر ودبر مارستانهما ص ودبر مارستانيهما. خ وكان في زمان ابن عبدون وبعده إلى آخر الدولة العامرة ص الدولة العامرية. وهي إحدى حكومات الطوائف بالأندلس جدها عامر الداخل إلى الأندلس مع طارق وجاور الخنفاء منهم بقرطبة جماعة أحدهم أبو عامر محمد بن الوليد الذي عرف آل عامر طراً به وساد بعده

ولده عامر (راجع أخبارهم في البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي طبعة ليدن).

(٩٣١) خ حسن التوليد والنتيج ص ولعنه الاستنج. خ ولم يكن أحد بعد محمد ابن عبدون أبوزي أبا العرب ص يوازي أبا العرب (٩٣٤) خ تطريقه لفضول وتطريفه لما غلط ص تطريته لفضول (٩٣٦) خ أعلم الناس بأخبار الأنبياء وبدء الخليفة ص بدء الخليفة. خ يسون كل تسعة عشر سنة ص كل تسع عشرة سنة خ الحادية عشر والرابعة عشر والسابعة عشر والتاسعة عشر ص الحادية عشرة بإثبات تاء التأنيث فيها كنها لأن الضمير يعود إلى السنة.

(٩٣٧) خ تفرقوا في البلاد ودخنوا الأمم ص وداخنوا الأمم خ لطيف الذهن حسن النظر أخفر ص لعنه اضر لأن أخفر لا معنى لها هنا خ واتصلت به العناية فسيوفي علي صناعة الفسفة ويستوجب فنون الحكمة ص فسيوفي لا معنى لها والأولى يستوعب بدل يستوجب لمطابقته للمعنى خ والتعريف بنذ من توألفهم ص والتعريف بنذقة بفتح النون وضمتها ولا تجمع ويغلط فيها كثرون.

هذا ما أمكن الوقت رده إلى الصحة من غلطات هذا الكتاب ومنه ما تركنا الإشارة إليه عمداً ولعل ناشره أو غيره من المدققين ينظرون فيه نظره أبلغ فيرزون الكتاب منقحاً في الجنة على ما يجب ويحبه الراغبون في إحياء آثار السلف.

المعارف

(الكتاب الأول في علم الفنك)

تأليف عبد الوهاب أفندي سليم التير ومحمد طاهر أفندي التير طبع في المطبعة الأهلية

في بيروت سنة ١٣٢٩ ص ٨٢

لؤلؤ في هذا الكتاب يد طولى في العنوم واضطلاع بالنقل عن الإفرنج في الموضوعات التي قم هذه الديار وتفيدها وقد ألفا الآن مختصرات في علم الفلك والطبيعات والكيمياء

والظواهر الجوية والجغرافية الطبيعية والحيوان والنبات ونشرا القسم الأول والغرض منها إحياء قو التصور في الولد لمعرفة قدرة الله تعالى وتبنيه إلى ما قد سخر الله تعالى من الأشياء المفيدة فلا يشب حتى يشتر عن مساعد الجد فينقب عن الكثير منها مما لا يزال مجهولاً فيكتشف فيضع الخلق وتبنيه إلى النظر والملاحظة إذ بذلك يزداد إدراكه فيرى حقيقة قدرة الله تعالى بما خص الكون من العجائب.

وقد اعتمد المؤلفان على تأليف هولدن في المعارف وهو يعلم في أكثر مدارس الولايات المتحدة وكندا وإنكثرا وحذوا حذوه في نسقه واعتندا على بعض الكتب العربية العلمية القديمة لوضع الاصطلاحات العلمية. والكتاب على طريقة محاورة بين أخوات وأبناء عم كانوا في الجبل فرأوا أقمار السماء فحدثهم كبيرهم بمعلوماته مختصرة يتشربها الصغير بل كل من لا عهد لها بهذا العلم الجليل.

وقد عدلا في التأليف الأصلي ما جمعه كأند ألف بلساننا مباشرة يستشهدان بآيات الكتاب العزيز عند الاقتضاء ويقولان أن العرب ولاسيما في الأندلس كانوا كأهل الغرب اليوم يعنون الأولاد مبادئ العلوم العالية كعلم الفلك والطبيعات وطبقات الأرض وغير ذلك من العنوم بأسلوب سهل وأن أهم عناء الفلك من القدماء هم العرب وقد اكتشفوا أشياء كثيرة في علم الفلك ولذلك ترون أن أكثر أسماء النجوم والكواكب هي عربية وقد أوضحنا الكتاب بما حياه من الرسوم فجاء علمياً عمياً ككتب الغربيين العلمية جدير بأن يطالع من لهم ولوع بعلم الهيئة القديمة ومن تسرب

الخرافات إلى نفوسهم فحكون عن صور الأفلاك أموراً لم تكن ففي جنسة يطالع المطالع هذه الحلقة الأولى من تلك السلسلة النافعة وإذا أراد الإمعان لا الاستظهار - لأن المؤلفين لا يقولون به بل يريان الاكتفاء بالقراءة والفهم فقط - يحتاج إلى بعض جنسات على الأكثر فيكون أخذ ما ينبغي له من هذا العلم بل ينبغي لمن أراد الاختصاص فيه أن يرجع إلى المطولات والمتوسلات وما أكثرها في كل علم وكل لغة من لغات الغرب. فللمؤلفين الفاضلين جزيل الشكر من خدمة العلوم بالعربية لثم معرفتها أهلها وكنا نود لو انتهوا قليلاً لبعض الأغلاط النحوية والصرفية والبيانية التي وقعت في الكتاب ونود تصحيحها في الطبعة الثانية كما نرجو أن تكون تمة السلسلة خالية من مثل ذلك ليكون العمل تاماً من كل وجه على أن مثل ذلك لا يقدح في نفعه ولكن ما ينشر ينبغي

أن يكون إلى الصحة ما أمكن حتى لا يعتاد أولادنا غير الفصح فتكون كتب العلم من جملة المساعدات على إحكام منكة البيان أيضاً.

تقويم البشير

تأليف الأب لويس مغنوف اليسوعي طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة

١٩١١ ض ٢٠٤

اعتادت هذه المطبعة في بيروت منذ خمس وثلاثين سنة أن تصدر تقويمياً سنوياً يعنى بتأليفه أحد الآباء اليسوعيين فجاء تقويمها هذه السنة حافلاً بالفوائد ونحو ثلثه ينفع المبحين خاصة والكاثوليك على الأخص كتقويم السنين والأعياد والأصوام والإقطاعات وذكر الرؤساء الروحيين ومجامعهم ودواوينهم وجداول في السنة الشبية والقصرية والمالية وتحويل النقود ثم مختصر في التقيينات الإدارية في الدولة

العثمانية وقد أطلق على الروم إيني (تركية أوربة) وهو اصطلاح إفرنجي مقيم لا يجوز أن يطلق على بلاد الدولة العنية لأن المنكة ليست للأتراك وحدهم بل هي لاثني عشر عنصراً ومنهم العرب نصف هذه العناصر فالأولى أن يقال لها روم إيني تركية آسيا الأناضول أو آسيا الصغرى كما قال المؤلف وقد تابع تقويم غوتا في إحصاء سكان الولايات ومساحتها ونظن بعضه مبالغاً فيه وبعضه دون الواقع كقوله أن سكان مدينة دمشق ٢٠٠ ألف وسكان بيروت ٨٥ ألفاً وسكان حنب ٣٥ ألفاً فإذا اعتبرنا الإحصاء الرسمي في دمشق مثلاً نراها أكثر من ذلك وهي لا تقبل في الحقيقة عن ربع مليون وبيروت لا تبلغ في الإحصاء الرسمي هذا القدر. وتوسع في الكلام على لبنان وبيروت وإدارتهما وحكومتها حتى ذكر بجانب اسم كل موظف لبناني دينه وأفراد جدولا بأسماء جرائد سورية ومجالاتها الباقية والزائلة وأسماء قناصل الدول في المنكة العثمانية وأماكنهم وفوائد وأمثالاً وبعض قوانين جديدة مثل قانون المطبوعات والمطابع والجمعيات وغير ذلك من الفوائد فتشني على مؤلفه ونرجو أن يزيده فوائد تاريخية وأثرية عن سورية ليسد في السنين المقبلة بعض الحاجة ويغني عن التقاويم الرسمية (سالمات) التي كانت تصدرها ولايات بيروت وحلب وسورية قبل حرية المطبوعات الأخيرة وتضمنها من المواد ما يستفاد من أكثره ولا سيما ما يتعلق بالحركة العمرانية في البلاد أما الأخذ عن تقويم غوتا فلا يبرر العمل في اقتباس مواد هي منا على طرف الضام لا تحتاج إلا إلى قليل من البحث والعناية.

كتب ورسائل مختلفة

سنة الدروس العربية للكتاب الابتدائية وهو الحلقة الأولى من كتاب الدروس العربي بشمل على الأهم من أصول الصرف والنحو مع الأمثلة والتبرينات ويليه الحلقة

الثانية وقد طبعت بانوان القسم التهديدي تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع في المطبع الأهلية في بيروت عدد صفحاته ٦٤.

بشرى العالم بترك اخاريات واتفاق الأمم - تتضمن البشارات الإلهية والبراهين العقلية بقرب حصول السلام بين الأنام تأليف فرج الله أفندي زكي الكردي طبع بمطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ - ص ١١١.

الإنجيل الشريف - بحث نظري تاريخي نقدي للأب أنطون رباط اليسوعي طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢.

باكورة الكرم - خطابان وقصيدة تليت في احتفال غرف القراءة الوطنية في بحدون (لبنان) طبعة بمطبعة الحسنة في بيروت.

الجامعة المصرية - كراسة باللغة الإفرنسية ذكر فيها رئيس الجامعة المصرية الأمير أحمد فزاد باشا خلاصة أعمال هذه الكلية العربية الجامعة مدة ثلاث سنين طبعت بالقاهرة.

رسالة تهليل المنطق - تأليف الشيخ أحمد الصابوني طبعت بمطبعة حماة سنة ١٣٢٩.

خليل الحوري - سيرة هذا الشاعر جمعت باهتمام إدارة حديقة الأخبار في بيروت وطبعت في مطبعها سنة ١٩١٠.

أخبار وأفكار

بحر الصحراء

اقترح بعض العنةاء منذ ٢٩ سنة أن يسمى بتحويل صحراء أفريقية إلى بحر داخلي قاتلاً أن هذه الصحراء الرملية ليست سوى سطح قديم من بحر جف وهو عني طول ألفي كيلومتر فوق مستوى المحيط الأتلاتنكي وقد زيف بعضهم هذا الاقتراح وعده رابع المستحيلات إلا أن أحد العنةاء عاد فجدد اليوم هذه النعمة مبنياً منافع هذا

المشروع وأن الوصول إليه لا يقتضي له صعوبات ميكانيكية مهمة فتستد بذلك المياه على محيط من الأرض يوازي نصف مساحة البحر المتوسط فتخصب بالبحر وهوائه تنك الأصقاع الأفريقية الواسعة لأن إحداهما ناشئ من قلة المياه ويسقط ألوف من البشر على ما يتبلغون به في أرض ليس فيها اليوم إلا الشقاء والجوع ويمجود هواء البلاد الواقعة في شمالي أفريقية فتصبح مثل بلاد الناتال من هذه الوجهة. وقد ردوا هذا الفكر في العالم العلني قائلين أن التغير في مناخ أفريقية يؤثر في مناخ شمالي أوربا الذي يوشك أن يكون كمناخ القطب الشمالي وبذلك تتعذر الحياة فيه وتفرق إنكثرا وبنجيكا والدانيسرك في الثلوج أشهراً وربما حدثت من ذلك كوائن وأحداث جوية وأرضية ليست في البال. فحتام تحيل مدينة الغرب البحر براً والبحر بحراً.

أحسن كارنيجي

ضاقّت الولايات المتحدة على رجبها عن استيعاب حنات أخصين من أبنائها على العلم والإنسانية وأخر ما جادت به يد المستر كارنيجي الثري الشهير ١٢٥ مليون فرنك لنشر التعليم في الولايات المتحدة هذا على حين كان حتى اليوم الباسط يده بالعطاء على كل مشروع خيري وعلمي حتى بلغت عطايه ١١٢٩ مليوناً في حين بلغت هبات روكفيلر الغني الأميركي ٨١٣ مليون فرنك فقط ومازال كارنيجي يتوسل بكل ما يمكن من الذرائع ليرد للأمة ما كسبه من غيرها ويود لو قضى نحب وهو لا يملك ريالاً واحداً قائلاً: من أعظم الجنايات أن يموت المرء غنياً.

آثار في السامرة

تتوفر في كلية هارفرد الأميركية على الحفر في فلسطين برئاسة الأستاذ ليون للبحث عن

الأثار وأخر ما ظفر به أحد أساتذة هذه البعثة الأثرية ثمودجات من الخط العبراني أقدم كثيراً مما عرف من نوعها حتى الآن وهي عبارة عن ٧٥ قطعة تشير كل منها إلى جودة الحمر والزيت المحفوظ في أوان متنوعة الحجم ويرد تاريخها إلى ستة قرون قبل المسيح وقد وجدت في قصر الملك أشاب من بلاد السامرة (نابلس) والخط المرسوم بالحبرة وبالقلم هو فينيقي ويختلف كل الاختلاف عن الحروف المربعة المعروفة في النسخ الخطية من التوراة. ويرى رئيس هذه البعثة أن هذا النموذج مستند مهم في حل المسألة التي طالما جرى الجدل فيها في أصل النصف بناء العبرية وأصلها الفينيقي.

الأولاد المهنون

عرفت أميركا منذ زمن طويل أن الشبية وقوة الشعب من أكبر العوامل في الفنى المادي إن لم تكن أكبرها وغنه ليس أصعب من فقد قوى الشباب يهمل آداب الأولاد إهمالاً كثيراً ما يجئ به منهم مجرمون جانون ولذلك أنشأت دوراً لإصلاح النفوس بحسب قواعد علم النفس الحديث.

فقد دلت سجلات دار الإصلاح في ميشغيل من ولاية أيوفا وما وضعته من إحصاء أعمالها أن عدداً عظيماً من البنات نكبن منذ حدثتهن باجتراح الرذيلة وكن لولا دخولهن تلك الدار من أليفات السجون فأصبحن بعد مغادرتن هذا المعهد ينظمن حياتهن فيكون منها فائدة حسنة فقد ذكرت إحدهن أن أباهما كان شريعاً خيراً اعتاد أن يترع عنها ثيابها ويجعلها على منصة ليرقصها أمام رفاقه في السكر ويسقها ويسبها فتحنق بالطبع بأخلاق محيطها وبدأت فيها هذه الأخلاق على أنها عندما تبتها إحدى السر الشريفة فلم يروا أبداً من وضعها في الدار الإصلاح تقضي فيها ستين اعتدلت في خلالها أخلاقها وميولها بحيث استطاعت بعد خروجها من هناك وعمرها خمس عشر

سنة أن تجد لها عدلاً شريفاً فتعنت الاستلاء السريع وهامي اليوم امرأة شريفة متروجة.

وقصة فتاة زنجية قصة فقالت أن نفسها كانت حدثتها أن تقتل من تبوها ونزعت من قلبها كل خلق شريف وبعد بضع سنين من دخولها دار الإصلاح تغيرت بالمرة ولما غادرها ذهبت تدرس في كلية العبيد وهامي اليوم تخص حياتها وفكرها لنشر الدعوة إلى المدنية بين بنات جنسها.

وقد وردت في هذه الدار جملة تلامذتها القدماء رئيسة أمينات المال في إحدى المصارف الكبرى ومحامية مشهورة بأنها من نساء السياسة المنطوريين إليهن ولولا دخولها في هذا المعهد لما استطاعت تلك الأمينة ولا تلك الاخامية أن تتوقيا محيط اجترار الجرائم الذي قصنا فيه شيهتهما ولكانت كتهما مقطعا في الطبقة السافلة من ساكنات المدن العظمى.

وطريقة هذه الدار مبهمة معقدة للغاية لا تستند إلى تعليم خاص ساذج ولا إلى عمل خاص معين بل هي عبارة عن تغير عادات الطفل وحنقه بالطرق المنظمة العنيفة ويتوخى هذا المعهد في فرقة البنات أن يثير فيهن حساسة الزينة لينبه فيهن الشعور الشريف فيعنيهن أن يكن معجبات بالبستهن وأن يخرن النظافة فيها وأن يقمن أنفسهن ويكن لاثقات أديبات وترعى في ذلك الأذواق الخاصة فصنى فيهن ويعنى بها.

كل يوم يقرع جرس هذه الدار عند الساعة الخامسة صباحاً تستيقظ البنات في الساعة السادسة يقضى عنهن أن يجتمعن لابسات لباساً نظيفاً ليتناولن طعام الفطور ثم يعمدون إلى سررهن فيرتبهن بأيديهن وفي الساعة السابعة بعد إنشاد أنشودتين لطيفتين يبدأ الدرس العام فينقسمن إذ ذاك إلى قسمين منهن يدرس دروساً نظرية والآخر يتعلم

دروساً عنية من مثل الطبخ والغسيل في الحديقة ومعمل التجارة وتبدل حقل التعليم بعد الظهر وتناول طعام العشاء الساعة الخامسة إلا ربعاً وفي الصيف يتزهدن في الخلاء وفي الشتاء يخصصن ساعات من وقت الدرس والتليذات تطلق لهن حريتهن من الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة فيعبدن ما أردن وفي الساعة الثامنة يذهبن للنوم وفي كل قبة من القباب التي تتألف منها أبنية المدرسة يكون خمسون ابنة تحت إدارة امرأة يدعوهن بأمهن وتكون بمساكنهن أشبه بمنازل الأسرات لا بمساكن مدارس وإن تلك المعاهد ما حوت من النطف والسذاجة الساكنة لتبتعد جداً عن الشبه بالسجون ولا يفارق الأولاد هذه الدار قبل سن الحادية والعشرين إلا البنات بحيث يؤمن عليهن بما يتهاى لهن من الدرس ولا سيما بما لقن من حسن السيرة والأخلاق والنظام أن يجزين في المستقبل على حياة منظمة وكثيرات منهم بعد تخرجهن في هذه الدار يستخدمن خدمات في بيوت خادمة وكثيرات يستخدمن في محال تجارية ويكن مربيات ومشتغلات بالفنون النفيسة. وشعار هذه الدار أن تنبه في تلميذاتها العواطف الشريفة التي كانت أطففت جنودها بالإهمال الذي كان أليفهن بين ذويهن.

أولادهم أولادنا

ولو كنن الغرب يكيل لأبنائه بمثل الكيل الذي يكيل به لأبنائنا في الشرق لقنت الفروق ومشى البشر خطوات مهمة نحو الإخاء العام والسلام الشامل هكذا شأن مرسيتهم في مدارسهم في الشرق وهكذا شأن حكوماتهم في البلاد التي امتنكوها في آسيا وأفريقية وجزر المحيطين. وإنا لننوم الكنية الأميركية في بيروت كننا توفر العناية بأبناء البلاد فقد عزلتهم في مكان خاص ووضعت لهم أساتذة خصوصيين يعنونهم غير التعالم التي يعنونها أبناء البلاد كان العلم كالطعام في بيت شحيح يطعم من أنواعه ما

طالب له ويمنع عن خدمته وإجراؤه الأطايب ويقتصر فيه على الرخيص نفعمهم أو لم ينفعهم وهكذا رأينا إنكترا التي تحكم الهند منذ نحو قرنين وحياتها متوقفة على غنى تلك البلاد وتعليم أبنائها لا تفكر في تعليمهم وترقيتهم كما تفكر في ترقية اقل إنكليزي ولو كان خلاصاً أي دمه من هنود وبريطانيين فقد قدرُوا أن في بلاد الهند ٣٠٠ ألف من عرق إنكليزي أو أوربي ليس بينهم سوى عشرة في المئة خرجوا من درجة الأمية فهل من اللائق أن يتركوا بدون تعليم كما يترك الوطنيون أم كيف السبيل؟ وإبذ قد لاحظوا أن الكاثوليك وهؤلاء الأوربيين يعلمهم مرسلوهم ولكن البرتستانت محرومون من يسهر على تربية أبنائهم فرأت الكنائس البرتستانتية أن تجمع ربع مليون جنيه لإقامة مدارس خاصة بأبناء البرتستانت من الإنكليز الهنود وتعين أساتذة أكفاء بحيث يكون أبنائهم مثال التربية الإنكليزية ويصبحون مادة قوة مهتة لإنكترا في بلاد هي خمس العالم بسكانها.

العقوبة الجسدية

من أغرب الأمم في عاداتها وأخلاقها الأمة الإنكليزية فهي على ما بلغته من درجات الحضارة لا تفتأ أن تحافظ على عاداتها الضارة في القرون الوسطى وتسعى إلى تعدينها وإصلاحها مع الزمن من ذلك أن لعقوبات الجسدية في مدارس لنديا لا تزال مستعملة حتى اليوم فحذفت هذه العادة المضرة من مدارس أوربا ولكن مدارس لنديا حسنتها حتى أن لبعض المدارس الراقية هناك أسواطاً ميكانيكية تضرب المذنب بشدة أو بغير شدة بحسب الذنب الذي اجتراه. ويضيفون إلى هذا السوط الضارب آلة فوتوغراف ترداد بعض آيات من التوراة وبعض النصائح الأدبية بصوت عال وذلك ليعنوا المضروب ويخفوا صراخه من الآلم.

حصار البشر

بينما تسمع علماء الاجتماع ينادون بمحضر الحروب وينددون بها تشاهد رجال السياسة يصنون آذانهم عن سماع أقوالهم ويرسلون إلى ساحات القتال بأقوى الرجال وأنشطهم بهنكون بعضهم بأيدي الآخر. وآخر ما ذكرته مجلة الاجتماع الدولية قولها من مقالة أن فكر الحرية وحده يجعل الشعوب ودية أمرها فقط ولما فئت رومية في فكر الاستيلاء والغلبة أضاعت عظمتها فامتد ظل الحروب المشثومة على الإنسانية وأصبح القحط في الرجال وذلك لأن حصار البشر كان رديئاً. وضعف رومية بالحروب كان الحاجة الأولى لغارات البربر. ومن العادات أن أحسن الرجال إذا أرسلوا إلى الموت يخففهم المتوسطون الفاسدون. ومهما كانت الأسباب الداعية إلى الحرب فإن نتائجها تبذير في البشر فإن ما جنتا وورث سيدان واينا ولييتسيك وواترلو التي جرت فيها تلك المعارك التي تشيب لها نواصي الأطفال ليست إلا مجموع عظام إنساني. وليت شعري من يعيد علينا أولئك الشبان والرجال الذين استوفوا نصيباً وافراً من الجمال فقضوا في ساحات الرجال. وأنت خير بما يقتضي قتل المرء أخاه من العدد والنفقة حتى قال فرانكين أن نفقات الحرب لا تؤدي خلال الحرب بل بعد أن تغند السيوف في أعينها. وإنا لنعلم الأقوياء وأرباب النشاط من الناس في جهاد الحياة السني يتديرون ويعنون وليسوا لتحصيل القوات في حاجة إلى الحرب يؤرثون نيرانها. وإنا لنعلم إنكثرا التي بذلت في خارج بلادها قواها لا تستطيع أن تشاهد نصف أبنائها إذ قد سقطوا كنهم في الهند وزولولاند وكبودج والترنغال وغيرها وقد أفتت المستعمرات جميع أبناء الطيبين من الفلاحين وأهل الطبقة الوسطى أي العنصر القوي في الأمة. أما أميركا فلم تقو إلا في ظل السلم. وبعد فإن الحرب مهما كان من أسبابها المشروعة فتتاجها سيئة دغ عنك

إنها تشير في العالم الهواء الشريرة ولا يجب أن يعند إلى الحرب إلا في أحوال خاصة لا مناص منها.

الفحم الحجري

يقول أحد رجال الإنكليز أن إسراف إنكلترا في الفحم الحجري من بلادها يدعو إلى نفاذه بعد ١٧٥ سنة. وقالت إحدى الحملات الألمانية أن أميركا التي تصدر ما يربو على نصف مليون طن من الفحم الحجري قد بدأت تشعر بنقص ولا بد أن يكون حظها كحظ إنكلترا بعد قرنين وكذلك الحال في شمالي إنكلترا فإن آبار الفحم الحجري ستفنى هناك في سنة ٢١٠٠م كما أنه ينفذ في أواسط فرنسا وبوهيميا نحو نصف القرن الحادي والعشرين وسيدوم استخراج الفحم الحجري من شمال فرنسا وحوض سارابروك في ألمانيا ما بعد ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة وسيكون حظ البنجيك ووستفاليا وسيليزيا العليا أحسن من ذلك فيطول تعدين فحمها أكثر وسيطول عمر معدن سيليزيا البروسي ألف سنة أخرى فلا خوف على المدينة من ثم اليوم بنضوب الفحم الحجري ولعل العلم يوصل إلى اختراع مادة تقوم مقامه في إجهاء المداخن في المعامل والسفن والبيوت وغير ذلك.

زراعة اللؤلؤ

يزرع اليابانيون وبعبارة أخرى اليابانيات اللؤلؤ في جون آغو من بلادهم فتسود أصدافه في خلال بضعة سنين ويعنى بها المربيات عناية خاصة فيدخنن في الصدفة لؤلؤات صغيرة من البحر أو عرق اللؤلؤ تكون بمثابة بذرة للؤلؤة التي يراد استنباطها وما يزرع من اللؤلؤ على هذه الصورة يشبه من حيث اللون والصفة اللؤلؤ الطبيعي الذي يأتي من ذوات الأصداف.

قطران الطرق

بدأت أميركا تدهن بعض طرقها بالقطران فشاعت هذه الطريقة في أوروبا ومنها انتقلت إلى مصر وقد ثبت مؤخراً أن هذا القطران يضع الأشجار المغروسة بجانبه بما ينبعث منه من الغبار فجربوا فعل الغبار بشجر الدردار والجوز فاحترقت أوراقها وورق الجميز (جرمشق) انضج وتشقق وضعف ورق الاس والرند والورد.

الخطر السود

تحاذر أوروبا وأميركا من الخطر الأصفر أي فحمة الصين واليابان وزحفهما على بلاد الغرب لفتحها كما فعل المغول ودمروا المدينة في هذا الشرق الأقرب وفي الشرق الأوسط. وتحاذر ألمانيا اليوم من الخطر الأسود وهو أن فرنسا التي تقل نفوسها وألمانيا التي يتناسل أبنائها كثيراً لا بد أن تنبيه ذات يوم وتجد من أبناء مستعمراتها في شمالي أفريقية أناساً خنقوا لنطعان أكثر مما خنقوا للعيش من زراعتهم وكدهم فتستطيع فرنسا أن تجد من السنغاليين وغيرهم منيون جندي وتسوقهم بما تنشئه من الخطوط الحديدية العسكرية ثم تقنهم في بواخرها إلى مرسينيا أو بوردو في مدة لا تتجاوز الأسبوع فإذا فعنت فرنسا ذلك أوجست ألمانيا خفية من جارها أكثر مما توجس هذه من تلك وقد جربت فرنسا على عهد نابوليون وغيره استخدام طوابير من الجند الأسود في حروبها.

الصحافة الألمانية

اشتهرت الصحافة الإنكليزية بوفرة أخبارها واتساع مادتها وتحريها الصدق في الحملة في مرواياتها وقد نشر أحدهم في الجئة الكبرى الأفرنسية مقالة في وصف الصحافة الألمانية قال فيها أنها على وجه العام محتشمة كثيرة موارد الأخبار نافعة للصناعة والمالية

بما تنشره من الأخبار الاقتصادية الدقيقة ويبلغ عدد الصحف التي تصدرها ألمانيا اليوم ٤٠٠٠ صحيفة كان فيها سنة ١٩٠٥ - ٢١٥٩ محلاً لنطع منها ١٣٠٧ لها صحيفة خاصة والصحافة الألمانية تامة الأدوات من حيث الأمور النافعة في الصناعة ووفرة الأخبار بحيث فيها ٢٠٠ شركة تقدم للنصح ما يلزمها من المقالات الافتتاحية والأخبار والانتقادات والحوادث والنكات. وللإعلانات في الصحافة الألمانية مكان رفيع كما لها في فرنسا.

والصحافي الألماني أقل اعتباراً في قومه من الصحافي الإنكليزي أو الإفرنسي وكم نشأ في إنكلترا وفرنسا كبار رجال السياسة من مقاعد التحرير أما ألمانيا فلا تجوز أن يكون النائب مثلاً صحافياً وإذا كانت مقالات الصحف تشر مغفلة من التواقيع مثل الصحافة الإنكليزية وخلافاً للصحافة الإفرنسية امتنع كثير من أرباب الأقدار في السياسة أن يستخدموا الصحافة في مآربهم ومع هذا لا يمنع أن يكون للصحافة الألمانية مكانة مهمة في حياة الأمة أما الحكومة فلا تنظر إلى الصحافة إلا بأنها ضرر لا بد منه وتحاول أن تنال معاضدتها ولا سيما في المسائل السياسية الخارجية وإذا لم تكن الصحافة الألمانية معادية للحكومة فهي تحرض على رضاها لتعطى هذه الأخبار بسرعة ولئن كانت جريدة نوردتش ألان زيتونغ هي لسان حال ألمانيا فإن كثيراً من الصحف الألمان تنطق أيضاً بنسان حكومتها من هذا القبيل.

المستشفيات

في ظل المعابد قامت على أوائل الأسرات الأولى من فراعنة مصر بعض الملاجئ ليأوي إليها المرضى يطهرون الكهنة بالعزائم والرقى وهذه كانت المستشفيات الأولى التي عرفت فأصبحت هذه الأماكن المقدسة مدارس حقيقية للتداوي ثم أضيفت إليها حجر لتكون

مستوصفات وقد كان معبد سيرابيس في منفيس مشهوراً من هذه الوجهة وزاره
اسكندر الكبير لاستشارة أطبائه. وكان في أرض يونان لكل بيت غني غرفة أو غرفتان
تحتوي ما ينزم لمعالجة الأحياب من العقاقير وكان في يونان أيضاً مستشفيات تطب
الغريباء ويهرع إليها الناس من القاصية يستشفون وكذلك كان في رومية مستشفيات
وكان الأطباء يطبون الأغنياء بالاشتراك السنوي كما كان في رومية مستشفيات للجنود
فدثرت عندما غار برايرة الشمال على بلادهم ولم تعد إلى الانتفاع منها إلا بعد انتشار
النصرانية فأنشئت رهبان تعنى بشفاء المرضى وعمريرهم ومن أقدم المستشفيات
مستشفى سالرن في إيطاليا ومستشفى مونبليه في فرنسا الذي أنشئ سنة ١١٩٥ -
قالته إحدى الجلات الإيطالية.

رمال تغنى

لنرمل في جزيرة كاياواي من أرخبيل هاواي وفي صحراء كولورادو خاصية غريبة إذا
أثاره الريح فإنك تسمع له صوتاً يغنى أو يطن وإذا قبضت على حفنة من الرمل
وعرسته بين يديك تسمع له صوتاً كصوت البومة وإذا وضعت منه في كيس وهزته
بقوة تسمع له عواء كعواء الكنب وإذا فحست الرمل بالنظارة المكبرة تجده مدوراً
وهو يجري واحدة على الأخرى بأقل مس وهذه الخاصية يمكن أن تفسر السهولة التي
تقذف بها إلى بعيد وتطوف المسافات. وينسبون الأصوات التي تنشأ عن هذه الرمال إلى
قشرة رقيقة من النار تغطي وجه الرملة فإذا نقل هذا الرمل من هذه الصحراء يبطل
صداه وغناؤه.

وقاية الخشب

اختراع مهندس من بودابست طريقة لمنع العفن من أن ينحرق عند التنغراف وخشب الكك الحديدية وخشب الحوائط وبالجنتة كل خشب يمس الأرض دائماً وسمماها وهذا الاختراع عبارة عن تحضير التربة على طريقة كيميائية بحيث تمنع كل السلامة من المواد الضارة بالخشب فيصب في الثقب أو المنفذ سائل معقم يهلك الحشرات والحشرات الطفيلية وهذه الطريقة بمعنى في الخشب عن طنيد بالقطران.